شبكة الألوكة
www.alukah.net

تأليف

أ. د. محمود بن أحمد الدوسري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

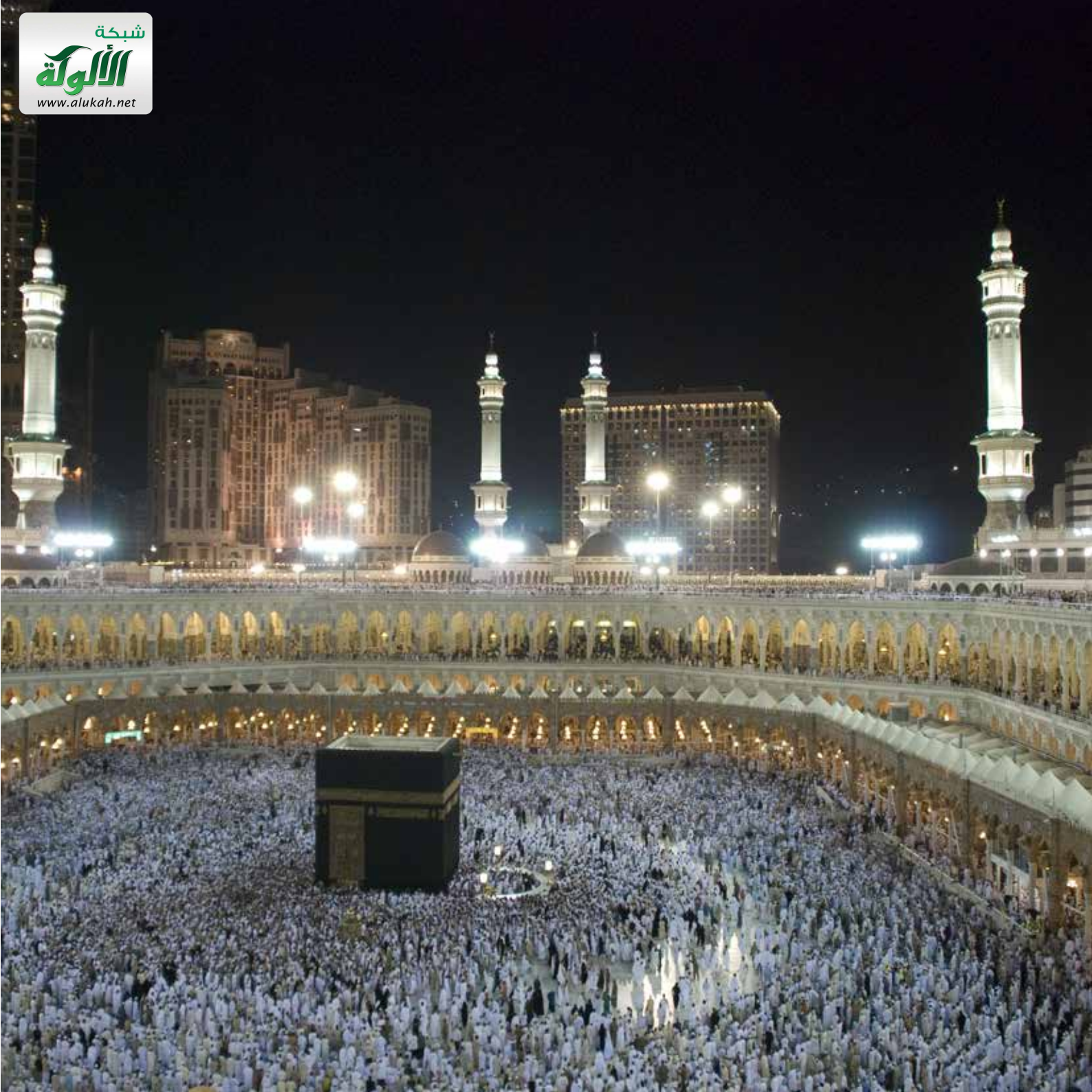

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خصائص الكعبة

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: أول بيت وضع لعبادة الله تعالى.

المبحث الثاني: أَمَرَ اللهُ بتطهيره.

المبحث الثالث: شرف نسبته إلى الله تعالى.

المبحث الرابع: فيه مقام إبراهيم.

المبحث الخامس: اشتياق الأفئدة إليه.

المبحث السادس: تُشَدُّ الرِّحالُ إليه.

المبحث السابع: الكعبة قبلة المسلمين.

المبحث الثامن: مشروعية الطواف حوله.

المبحث التاسع: عين زمزم تُجاورها.

المبحث العاشر: الكعبة مركز الأرض والكون.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

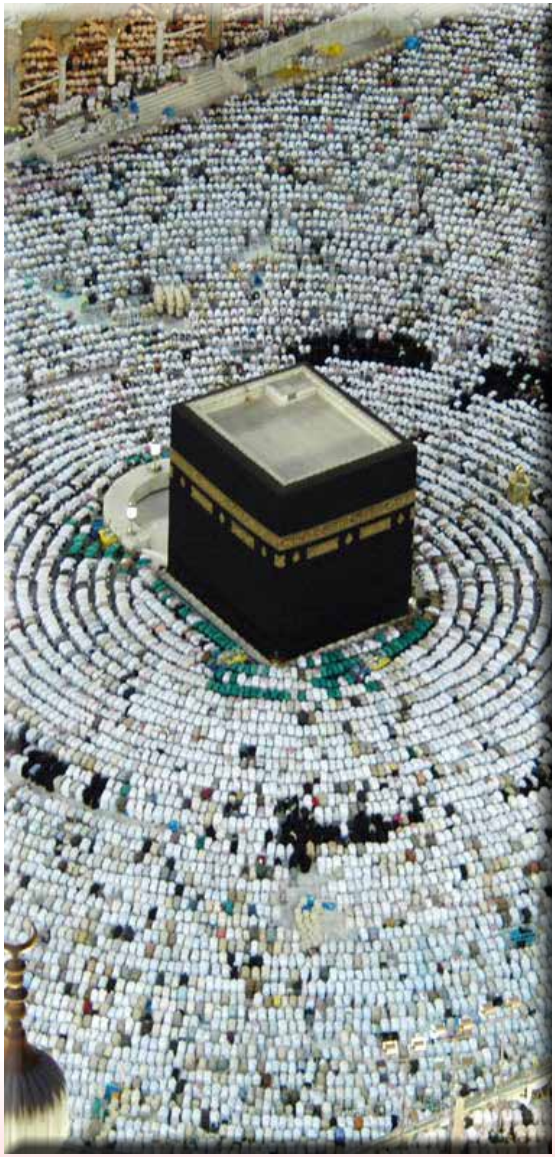

المبحث الأول

أول بيت وضع لعبادة الله تعالى

من أبرز خصائص البيت العتيق أنه أول بيت وُضِعَ في الأرض لعامة الناس؛ لعبادتهم ونسكهم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٦].

معنى الأوَّليَّة في الآية(١):

١- أنه أول بيت وُضِعَتْ فيه البركة، ووُضِعَ للعبادة، وهو قول علي بن أبي طالب ﷺ وغيره.

٢- أنه أول بيت وُضِعَ على وجه الأرض مطلقاً، وهو قول السُّدِّي.

٣- أنه خُلِقَ قبل جميع الأرضين، ثم دُحيت الأرضون من تحته، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤- أن موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض، وقال به قتادة رحمه الله.

والصحيح: هو القول الأول، وهو قول عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ونِسْبته إليه صحيحة، وهذا الأمر ليس محلاً للاجتهاد والنظر، فلا يمكن أن يقوله عليٌّ رضي الله عنه دون أن يكون سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذلك يكون له حُكم الرفع، وهو اختيار ابن جرير الطبري، وابن كثير وغيرهما من المحققين(٢).

وأما الأقوال ـ الثلاثة الأخيرة ـ فليست قائمة على دليل ولا نصٍّ من الكتاب أو السنة، مع أنها من أمور الغيب(٣).

ما جاء عن المفسرين في تأويل الآية:

١- قال ابن كثير رحمه الله ـ عند تفسيره للآية: (يُخبر تعالى أنَّ أول بيت وُضِعَ للناس، أي: لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به، ويصلون إليه، ويعتكفون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عنده ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ يعني: الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام...

عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾، قال: كَانَتِ الْبُيُوتُ قَبْلَهُ، ولكِنَّه كَانَ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِعِبَادَة الله(٤)... وعن خالد بن عرعرة قال: قام رجل إلى علي رضي الله عنه، فقال: ألا تُحَدِّثني عن البيت، أهو أول بيت وُضِعَ في الأرض؟ قال: لا، ولكنه أوَّل بيت وُضِعَ فيه البركة مقام إبراهيم(٥)...

[ثم قال ابن كثير]: وزعم السُّديُّ أنه أول بيت وُضِعَ على وجه الأرض مطلقاً، والصحيح قول علي رضي الله عنه)(٦).

٢- وقال الرازي رحمه الله: (واعلم أن دلالة الآية على الأولية في الفضل والشرف أمر لا بد منه، لأن المقصود الأصلي من ذكر هذه الأولية بيان الفضيلة، لأن المقصود ترجيحه على بيت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

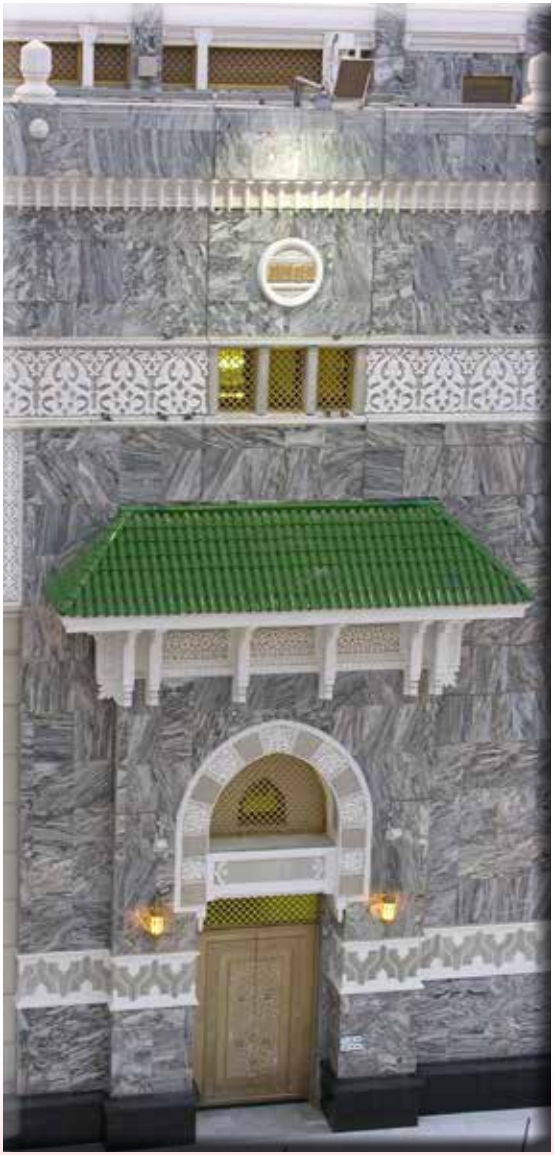

المقدس، وهذا إنما يتم بالأولية في الفضيلة والشرف... واتفقت الأمم: على أن باني هذا البيت هو الخليل عليه السلام، وباني بيت المقدس سليمان عليه السلام، ولا شك أن الخليل أعظم درجة وأكثر منقبة من سليمان عليه السلام فمن هذا الوجه يجب أن تكون الكعبة أشرف من بيت المقدس.

واعلم أن الله تعالى أمر الخليل عليه السلام بعمارة هذا البيت، فقال: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]. والمُبَلِّغ لهذا التكليف هو جبريل عليه السلام، فلهذا قيل: ليس في العالَم بناءٌ أشرف من الكعبة، فالآمر هو الملك الجليل، والمهندس هو جبريل، والباني هو الخليل، والتلميذ إسماعيل عليه السلام)(٧).

٣- وما أحسن ما قرره ابن عاشور رحمه الله بقوله: (ولا شكَّ أنَّ الكعبة بناها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إبراهيم عليه السلام وقد تعدَّد في القرآن ذِكْر ذلك، ولو كانت من بناء الأنبياء قبله لزِيد ذكر ذلك زيادة في التنويه بشأنها، وإذا كان كذلك فلا يجوز أن يكون أوَّل بناء وقع في الأرض كان في عهد إبراهيم؛ لأنَّ قبل إبراهيم أمماً وعصوراً كان فيها البناء... فليس غرض الكلام فيه ضبط أوائل التَّاريخ، ولكن أوائل أسباب الهدى، فالأوَّلية في الآية على بابها، والبيت كذلك، والمعنى: أنَّه أوَّل بيت عبادة حقَّة وُضِعَ لإعلان التَّوحيد، بقرينة المقام، وبقرينة قوله: ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ المُقتضى أنَّه مِنْ وَضْع واضع لمصلحة النَّاس؛ لأنَّه لو كان بيتَ سُكنى لقيل: وضَعَه النَّاس، وبقرينة مجيء الحالين بعدُ؛ وهما قوله: ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَلَمِينَ﴾)(٨).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

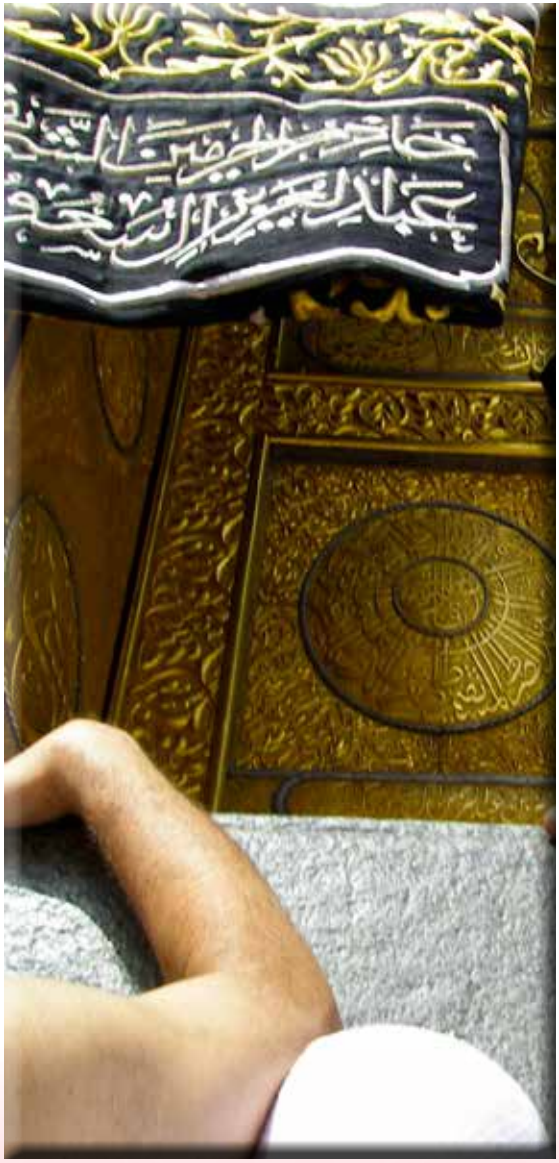

بناءُ الكعبةِ قبل بيت المقدس بتسعة قرون:

وفي ذلك يقول ابن عاشور أيضاً: (وقد جَمَعَت الكعبة جميع هذه المزايا فكانت أسبق بيوت العبادة الحقِّ، وهي أسبق من بيت المقدس بتسعة قرون. فإنَّ إبراهيم بنى الكعبة في حدود سنة ١٩٠٠ قبل المسيح، وسليمانَ بنى بيت المقدس سنة ١٠٠٠ قبل المسيح، والكعبة بناها إبراهيم بيده فهي مبنية بيد رسول. وأمَّا بيتُ المقدس فبناه العَمَلة لسليمان بأمره.

وعن أبي ذَرٍّ ﷺ قال: قلت يا رَسُولَ اللهَّ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرض أَوَّلُ؟ قال: (المَسْجِدُ الحَرَامُ). قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: (المَسْجِدُ الأَقْصَى). قلت: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قال: (أَرْبَعُونَ سَنَةً)(٩).

فاستشكله العلماء: لأنَّ بين إبراهيم وسليمان قروناً، فكيف تكون أربعين سنة؟

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأجاب بعضهم: بإمكان أن يكون إبراهيم بنى مسجداً في موضع بيت المقدس، ثُمَّ درس فجدَّده سليمان)(١٠).

يعقوب بن إسحاق هو مَنْ بنى بيت المقدس:

وقد اختار ابن القيم رحمه الله بأن الذي بنى بيت المقدس هو يعقوب بن إسحاق ـ عليهما السلام ـ وليس سليمان عليه السلام، قائلاً: (وقد أشكل هذا الحديثُ على مَنْ لم يعرفِ المرادَ به، فقال: معلوم أن سليمان بنَ داود هو الذي بنى المسجد الأقصى، وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف عام، وهذا مِنْ جهل هذا القائلِ، فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى تجديدُه، لا تأسيسُه، والذي أسَّسه هو يعقوب بن إسحاق ـ صلى الله عليهما وآلهما وسلم ـ بعد بناء إبراهيم الكعبةَ بهذا المقدار)(١١).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال ابن حجر رحمه الله: (وهذا الحديث(١٢) يُفسِّرُ المرادَ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ ويدلُّ على أن المراد بالبيت بيت العبادة، لا مطلق البيوت، وقد ورد ذلك صريحاً عن عليٍّ أخرجه إسحاق بن راهويه، وابن أبي حاتم، وغيرهما، بإسناد صحيح عنه قال: [كانت البيوت قبله، ولكنه كانَ أوَّل بيت وُضِعَ لعبادة الله])(١٣).

الكعبة أوَّل هيكل أُقيم لتوحيد اللّه:

وهذا ما قرَّره ابن عاشور رحمه الله: (ولا شكَّ أن أول هيكل أقيم لتوحيد الله وتنزيهه وإعلان ذلك وإبطال الإشراك هو الكعبة التي بناها إبراهيم أول مَنْ حاجَّ الوثنيين بالأدلة، وأول من قاوم الوثنية بقوة يده فجعل الأوثان جذاذاً، ثم أقام لتخليد ذكر الله وتوحيده ذلك الهيكل العظيم؛ ليعلم كل أحد يأتي أن سبب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بنائه إبطال عبادة الأوثان، وقد مضت على هذا البيت العصور فصارت رؤيته مذكِّرة بالله تعالى، ففيه مزية الأولية، ثم فيه مزية مباشرة إبراهيم عليه السلام بناءه بيده ويد ابنه إسماعيل دون معونة أحد، فهو لهذا المعنى أعرق في الدلالة على التوحيد وعلى الرسالة معاً وهما قطبا إيمان المؤمنين وفي هذه الصفة لا يشاركه غيره.

ثم سَنَّ الحجَّ إليه لتجديد هذه الذكرى ولتعميمها في الأمم الأخرى، فلا جرم أن يكون أولى الموجودات بالاستقبال لمن يريد استحضار جلال الربوبية الحقة، وما بنيت بيوت الله مثل المسجد الأقصى إلاَّ بعده بقرون طويلة، فكان هو قبلة المسلمين)(١٤).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الكعبةٍ حوَّلت التَّوحيد المعنوي إلى مادي ملموس:

والكعبة رمز للتوحيد، فالتوحيد في القلب مستقر، وهو أمر معنوي، والإنسان دائماً بحاجة إلى شيء مادي ملموس يرمز به إلى الأمور المعنوية في داخله، فكانت الكعبة المشرفة وهذا هو سرُّ تعلُّق الأرواح بها، واشتياق الأفئدة إليها.

والكعبة المشرفة تستمِدُّ عظمتَها وقدسيَّتها من هذا التوحيد الخالص، الذي يُوَحِّد قلوب الموحِّدين المؤمنين بالله تعالى، فيجعلهم على قلب رجلٍ واحد.

فجاءت الكعبة؛ لِتُوَحِّدَ وِجْهَتَهم أيضاً، ولِتكونَ قِبْلَتَهم في صلاتهم، وفي تَوَجُّهِهم وحَجِّهم، فحوَّلت التوحيدَ من المعنويِّ المحسوس إلى الماديِّ الملموس، نلمحُ ذلك الأمرَ في تلبية الملبِّين قائلين:

لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، مُعلنين فيها التوحيدَ الخالص لله تعالى، المُبَرَّأ من كلِّ شرك، المُنزَّه عن كلِّ شائبة، هذه التلبية لا تُقال إلاَّ عند التَوَجُّه إلى تلك الكعبة، بيتِ الله الحرام، مُؤكِّدة تلك العلاقة بين التوحيد الخالص لله تعالى وبين الكعبة، بيتِ الله العتيق، الذي فيه تُقام الشَّعائر، وتُؤدَّى المناسك كما أمر الله تعالى طاعةً واستسلاماً له وحده، ورغبةً فيما عنده وحده، وإيماناً به وحده.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المبحث الثاني

أمرَ اللهُ بتطهيره

من خصائص البيت الحرام أنَّ الله تعالى أمر بتطهيره طهارةً حسِّية ومعنوية؛ ليكون مكاناً يُعبد الله فيه بأنواعٍ من العبادات والطاعات، وقد اختار سبحانه للقيام بهذا العمل الجليل خليله إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام فقال سبحانه: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

المعنى العام:

فقوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أي: أوحينا إليهما وأمرناهما(١٥)،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقيل: ألزمناهما ذلك، وأمرناهما أمراً وثَّقْناً عليهما فيه(١٦).

وقوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ (يعني: الكعبة، أضافه إليه تخصيصاً وتفضيلاً، أي: ابنياه على الطهارة والتوحيد)(١٧).

فالله تعالى أوحى إليهما بتطهير بيته المحرم طهارةً معنوية من الشرك والكفر، وعبادة الأوثان، والمعاصي، وطهارةً حسية من الرجس والنجاسات والأقذار.

(والمراد بالطائفين في هذه الآية: الذين يطوفون حول البيت، والمراد بالقائمين والركع السجود: المصلون، أي: طَهِّرا بيتي للمتعبدين، بطواف، أو صلاة، والركع: جمع راكع، والسجود: جمع ساجد)(١٨).

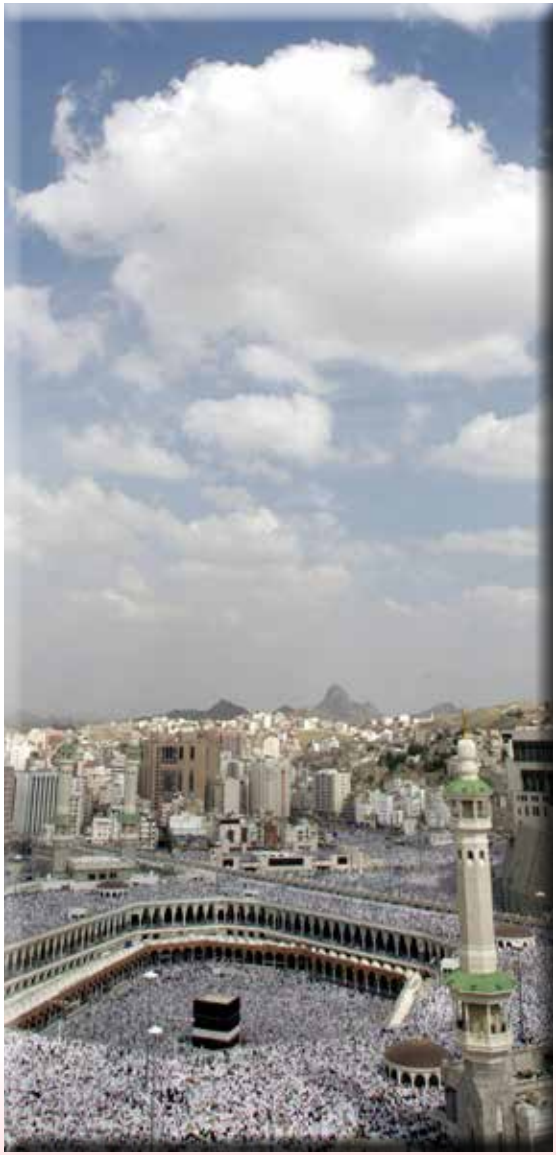

شبكة الألوكة
www.alukah.net

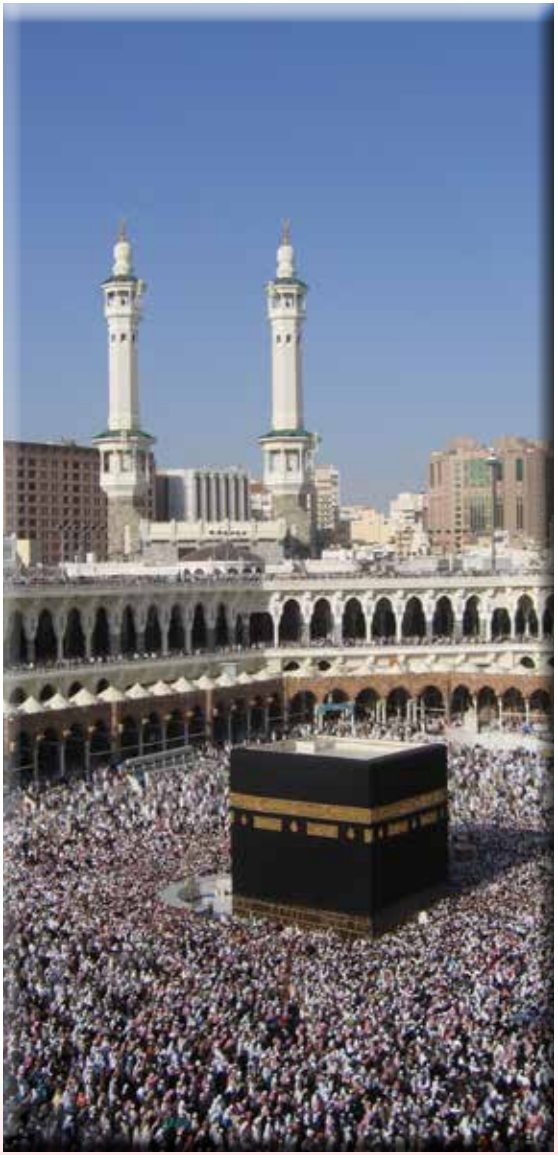

أوجه تطهير البيت:

وقد ذكر الرازي رحمه الله عدة أوجه للمفسرين في تطهير البيت الحرام: (أحدها: أن معنى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ ابنياه وطهراه من الشرك وأسساه على التقوى؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة:١٠٩]. وثانيها: عَرِّفا الناس أن بيتي طهرة لهم متى حجُّوه وزاروه وأقاموا به...

وثالثها: ابنياه ولا تَدَعا أحداً من أهل الرَّيب والشرك يزاحم الطائفين فيه، بل أقِرَّاه على طهارته من أهل الكفر والريب، كما يقال: طهَّر اللهُ الأرضَ من فلان، وهذه التأويلات مبنية على أنه لم يكن هناك ما يوجب إيقاع تطهيره من الأوثان والشرك، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥]، فمعلوم أنهن لم يُطَهَّرْن من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نجس بل خُلِقْن طاهرات، وكذا البيت المأمور بتطهيره خُلِقَ طاهراً، والله أعلم. ورابعها: معناه نَظِّفا بيتيَ من الأوثان والشرك والمعاصي؛ ليقتدي الناس بكما في ذلك)(١٩).

وقال ابن عاشور رحمه الله: (والمراد من تطهير البيت: ما يدلُّ عليه لفظ التطهير من محسوسٍ، بأن يُحفظ من القاذورات والأوساخ؛ ليكون المتعبِّد فيه مقبلاً على العبادة دون تكدير، ومِن تطهيرٍ معنوي، وهو أن يُبْعَد عنه ما لا يليق بالقصد من بنائه، من الأصنام، والأفعال المنافية للحق؛ كالعدوان والفسوق، والمنافية للمروءة؛ كالطواف عرياً دون ثياب الرجال والنساء.

وفي هذا تعريض بأن المشركين ليسوا أهلاً لعمارة المسجد الحرام؛ لأنهم لم يُطهِّروه مما يجب تطهيره منه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إِلَّا ٱلْمُنَفِّقُونَ ﴾ [الأنفال:٣٤]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة:٢٨])(٢٠).

اكتمال التطهير بمنع المشركين:

وبعد ظهور الدين الإسلامي وقوة شوكته مَنَعَ النبيُّ ﷺ أن يحجَّ مشرك، أو يطوف بالبيت عريان.

فقد جاء أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه بَعَثَهُ النبيُّ ﷺ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ عَلَيْهَا قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ: (أَلا، لاَ يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، ولاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ)(٢١).

تطهير نبينا ﷺ للكعبة امتداد لتطهير إبراهيم عليه السلام:

وإذا كان الله تعالى قد مَنَح شَرَفَ بناء الكعبة وتطهيرها إلى إبراهيم وإسماعيل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عليهما السلام، فقد مَنَح نبيَّنا وحبيبَنا محمداً ﷺ شرفاً أعظمَ وأتمَّ وأكمل، ألا وهو تطهير البيت من أدران الشرك، وممَّا أحاطه به الكفار والمشركون من أوثانٍ تُعبد من دون الله تعالى، فإذا كان إبراهيم عليه السلام قد بناه ابتداءً خالصاً لله تعالى لا يُشرك به شيء، فقد أحاطه المشركون مع تتابع السِّنين ومرورِ الأزمان بأوثانٍ تُعبد مع الله جلَّ في عُلاه، فكانت مُهِمَّةً عُظمى ومسؤوليةً كُبرى في عُنُق نبيِّنا محمدٍ ﷺ أدَّاها على أكمل وجهٍ، ليس هذا فحَسْب، وإنَّما بَلَغَ الشرفُ مداه حين أمَرَ الله تعالى ألاَّ يحجَّ هذا البيتَ مشرك أو كافر، وألاَّ يُمارسَ فيه ما يَتَنافى مع المروءة والخُلُق القويم، بل أشد من ذلك أنْ أحاطه بسياجٍ مكاني لا يدخله كافر أو مشرك؛ مبالغةً في تطهير هذا الحرم وتلك الكعبة المشرفة، وضَمِنَ الله تعالى ذلك التطهير إلى قيام الساعة، وفي هذا الشَّرف العظيم لنبينا محمدٍ ﷺ.

عامود من الخشب مع قاعدة حجرية
يعودا إلى عمارة عبدالله بن الزبير سنة ٦٥ هـ

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

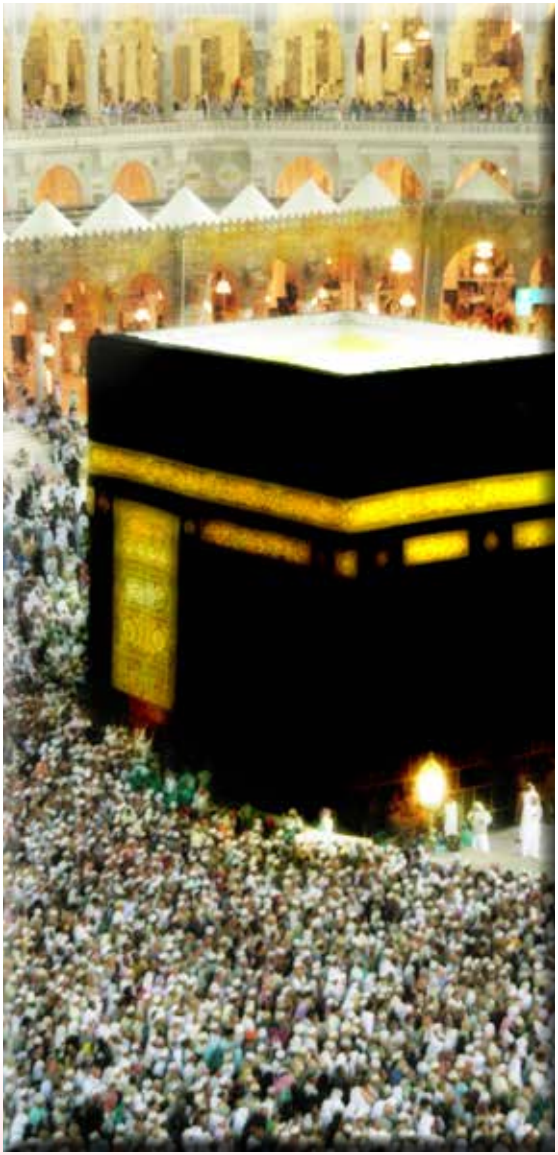

المبحث الثالث

شرف نسبته إلى الله تعالى

ومن خصائص البيت الحرام أنَّ الله تعالى شرَّفه ورفعه بإضافته إلى نفسه الشريفة في عدة آيات من كتابه الكريم مما يدل على مدى الاعتناء منه سبحانه بهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ومن هذه الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

٢- قوله سبحانه: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

ولا ريب أن إضافة البيت إلى ضمير الجلالة تشريف وتعظيم للبيت الحرام،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفاً(٢٢).

فوائد الإضافة:

ومن فوائد هذه الإضافة المباركة ما ذكره السعدي رحمه الله بقوله: (وأضاف الباري البيت إليه لفوائد منها: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ بتطهيره لكونه بيت الله فيبذلان جهدهما ويستغرقان وسعهما في ذلك. ومنها: أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه. ومنها: أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه)(٢٣).

وحَقًّا أنَّ هذه (الإضافة هي التي أقبلت بقلوب العالَمين إليه، وسلبت نفوسهم حُبًّا له وشوقاً إلى رؤيته، فهذه المثابة للمحبين يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حباً وإليه اشتياقاً)(٢٤).

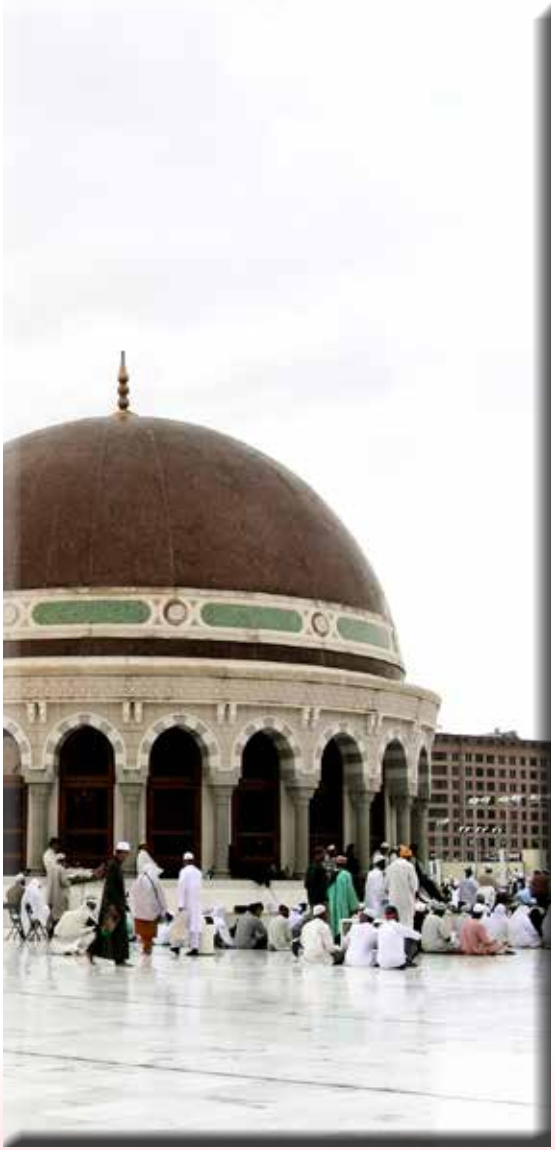

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣- قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش:٣].

والبيت: هو الكعبة المشرفة، والإشارة تفيد التعظيم(٢٥) وخص الله الربوبية بالبيت، لفضله وشرفه، وإلاَّ فهو سبحانه رب كلِّ شيء(٢٦).

(وتعريف ﴿ رَبَّ ﴾ بالإضافة إلى ﴿ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ دون أن يقال: فليعبدوا الله؛ لما يومئ إليه لفظ ﴿ رَبَّ ﴾ من استحقاقه الإفراد بالعبادة دون شريك)(٢٧).

(وفي تعريف نفسه لهم بأنه رب هذا البيت وجهان: أحدهما: لأنه كانت لهم أوثان، فميز نفسه عنها. الثاني: أنهم بالبيت شُرِّفوا على سائر العرب، فذكر لهم ذلك تذكيراً بنعمته)(٢٨).

٤- قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ [النمل:٩١].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهنا أضاف سبحانه البلدة إلى نفسه، والمراد: مكة المكرمة.

(يعني: أُمرت أن أخُصَّ بعبادتي وتوحيدي اللهَ الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة، وإنما خَصَّها من بين سائر البلاد بالذكر؛ لأنها مضافة إليه، وأحب البلاد وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم؛ لأنها موطن نبيه، ومهبط وحيه)(٢٩). وفيها حَرَمُه وبيتُه.

حِكْمة اختيار مكة مكانًا للكعبة:

وقد يسأل سائل، أو يخطر على البال خاطر، إذا كان الله تعالى قد نَسَبَ البيتَ إلى نفسِه الشريفة، فما الحكمة من اختيار مكَّةَ مكاناً له؟ وهي في أرض جرداءَ قاحلةٍ، وفي سائر الأرض بقاعٌ عامرة فيها من الأنهار الجارية، والحدائق الغنَّاء، ما يتناسب مع شرف نسبتها إلى الله تعالى، فلنترك أميرَ الشُّعراء: أحمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شوقي يُجِبْنا بكلماتٍ خلاَّبةٍ عن هذا التَّساؤل، وذاك الخاطر، بقوله رحمه الله:

(لو شاء اللهُ تعالى لَبَنَى بيتَه بِمِصْرَ على نهرٍ فيَّاض، ووادٍ كلِّه قِطَع الرياض، ولو شاء اللهُ لاتَّخذ بيتَه بالشام، بين الجداول المظلَّلة، والرُّبى المُكَلَّلة، والغصونِ المهدَّلة، والقطوف المذلَّلة، ولو شاء الله جلَّت قدرتُه لرفع بيته على أنوف الجبابرة، ملوكِ الأعْصُرِ الغابرة، وفوق هام آلهتهم وهي مُمَهَّدة مُنضَّدة، في الغُرَف المَشيَّدة والقباب المُمَرَّدة، ولكنَّه تعالى نَظَرَ إلى أُمِّ القرى، فرأى بها ذُلاً لِعِزِّ سلطانه، وافتقاراً إلى غِناه وإحسانه، ورأى خشوعاً يستأنس به الإيمان، وتجرُّداً تسكن إليه العبادة، ورأى انفراداً يجري في معنى التوحيد، فأمر إبراهيمَ حواريَّه ونبيَّه، وخليلَه وصفيَّه، أن يرفع بذلك الوادي ركنَ بيته، وينصب بين شِعابه منارَ وحدانيته... بُنِيَ البيتُ وإذا الجلال حُجُبُه وأستاره، والحقُّ حائطه وجداره، والتوحيدُ مظهره ومناره، والنبيُّون بُناته وعُمَّارُه، واللهُ عزَّ وجلَّ ربُّه وجارُه... قد حاز اللهُ له من نباهةِ الذِّكر وفخامةِ الشأن، ما لم يَحُزْ لقديم من معالم الحقِّ ولا حديثٍ: بِرَّ العبادةً، وفضيلةَ الحج، وشرفَ الباني، وروعةَ العِتق، وجلالةَ التاريخ)(٣٠).

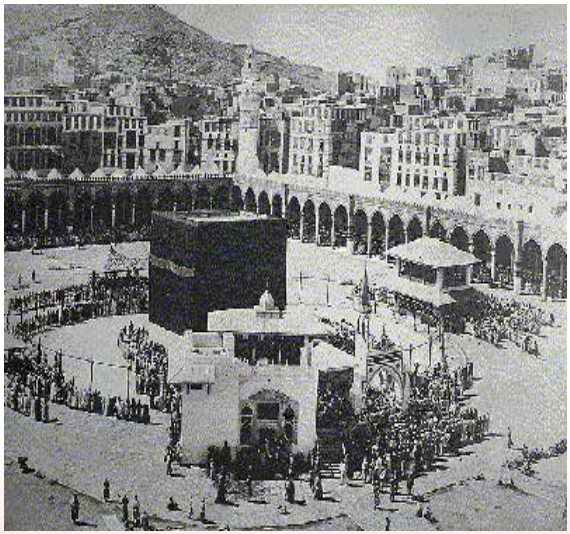

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المبحث الرابع

فيه مقام إبراهيم

من خصائص البيت العتيق أنَّ فيه مقامَ إبراهيم عليه السلام، وهو الحَجَر الذي قام عليه حين ارتفع بناؤه للبيت، وشق عليه تناول الحجارة، فكان يقوم عليه ويبني، وإسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة ويحوله في نواحي البيت حتى انتهى من البناء (٣١).

مقام إبراهيم في القرآن:

ذكر الله تعالى مقام إبراهيم عليه السلام في موضعين من كتابه الكريم:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥].

وثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: يا رَسُولَ اللهِ، لو اتَّخَذْنَا من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مَقَامِ إبراهيم مُصَلًّى فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾(٣٢).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ؛ قال: (قَدِمَ النبي ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكْعَتَيْنِ)(٣٣).

الموضع الثاني: قوله سبحانه: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران:٩٦]. و﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ مبتدأ، والخبر محذوف، أي: منها مقام إبراهيم(٣٤).

وقيل: ﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ عطف بيان لقوله: ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾(٣٥).

قال الزمخشري رحمه الله: (فإن قلتَ: كيف صحَّ بيان الجماعة بالواحد؟ قلتُ: فيه وجهان: أحدهما: أن يُجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة؛ لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة إبراهيم، من تأثير قدمه في حَجَر صلد؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل ١٢٠] والثاني: اشتماله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على آيات؛ لأن أثر القَدم في الصخرة الصماء آية، وغوصَه فيها إلى الكعبين آية، وإلانةَ بعض الصخر دون بعض آية، وإبقاءه دون سائر آيات الأنبياء ـ عليهم السلام ـ آية لإبراهيم عليه السلام خاصة، وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنين آية)(٣٦).

(والآيةُ في مقام إبراهيم عليه السلام أنه قام على حَجَر فأثرث قدماه فيه، فكان ذلك دليلاً على قدرة الله، وصِدْق إبراهيم عليه السلام)(٣٧).

حِفْظُ مقام إبراهيم من الطقوس الشركية:

بالإضافة إلى ما سبق ذِكْرُه من دلالاتٍ وآيات اشتملَ عليها مقام إبراهيم عليه السلام، فقد بلَغَ الشَّرفُ مداه، والإعجازُ غايته، عندما حَفِظَ الله تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هـذا الأثـر لِقَدَمَـي نبـيِّ الله إبراهيـم عليه السلام، مـع حـبِّ النـاس لـه عليه السلام، وبقـاء بقايـا مـن شِرعتـه ونسـكِه تُـؤدَّى كـما هـي في عصـور الـشرك وعبـادة الأوثـان، حَفِظَـه سبحانه وتعـالى مـن أنْ يُتَّخَـذَ صنـماً أو وثنـاً يُعبـد، مـع أنَّ هـذه العبـادة الشِّركيـة كانـت منتـشرةً في ذاك الزمـان، فلـم يُذكـر أن أحـداً مـن المشركين عَبَـدَ مقـام إبراهيـم أو الحجـر الأسـود، وفي ذلـك حكمـة بالغـة (فإنهـما لـو عُبـدا مـن دون الله في الجاهليـة، ثـم جـاء الإسـلام بتعظيمهـما باسـتلام الركـن الأسـود، والصـلاة خلـف المقـام، لقـال المنافقـون وأعـداء الإسـلام: إن الإسـلام أقَـرَّ احـترام بعـض الأصنـام وإنـه لم يخلـص مـن شـائبة الـشرك - ولَتَمَسَّـك بعبادتهـما مَـنْ كان يعبـد أحدَهمـا مـن قبـل)(٣٨).

ولم يوجـد عنـد جميـع الأمـم أثـر حَفِظَـه الله تعـالى عـلى مَـرِّ الأزمـان كـما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يوجد عند الأمة الإسلامية من حفظ مقام إبراهيم والحَجَر الأسود، ولا يزالان محفوظَين إلى يوم القيامة.

بدعةٌ مُحدثة:

من البدع التي أحدثها بعض الناس عند المقام: التمسح به، وتقبيله، ونحو ذلك مما لم يأت به الشرع، وفي ذلك يقول قتادة رحمه الله: (أُمِروا أن يُصلُّوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلَّفت هذه الأُمَّة شيئاً لم يتكلَّفْه أحد قبلَهم)(٣٩).

ورغم سوء هذه البدعة، إلاَّ أنها لا تُمثِّل مظهراً من مظاهر الشرك؛ لأنها تصدر عن بعض الجهال الذين تحكَّمت فيهم العاطفة، فصَدَرت عنهم البدعة انسياقاً وراء عاطفتهم، لا تعبيراً عن عقيدة، أو إيمان.

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

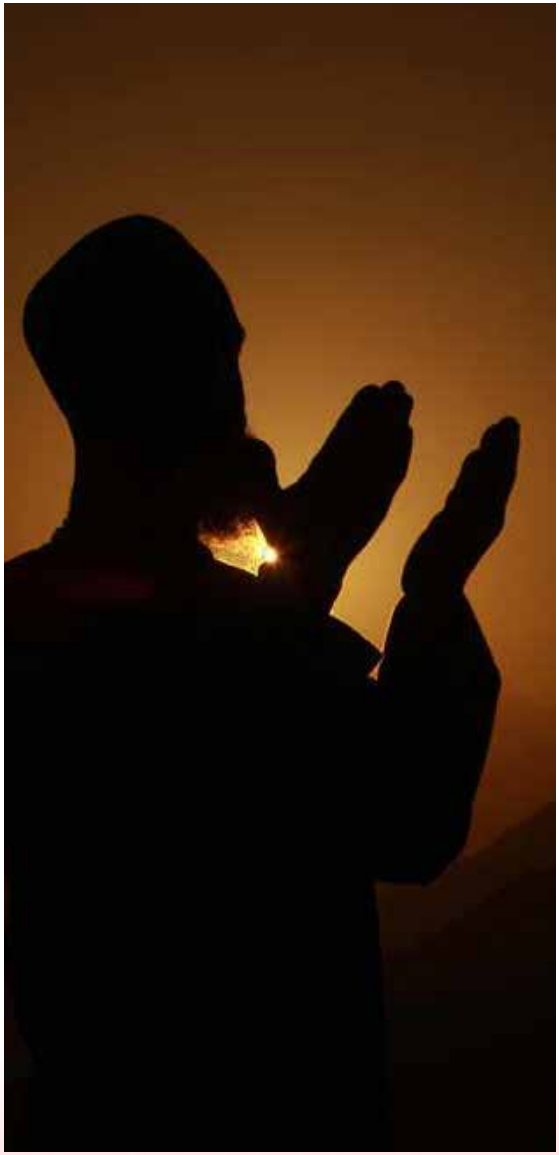

المبحث الخامس

اشتياق الأفئدة إليه

من أبرز خصائص البيت العتيق اشتياق الأفئدة إليه، وتعلق الأرواح به، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١٢٥].

فهو (تنبيه من الله تعالى لعباده على فضله، وتعديدٌ لِنِعَمِه التي منها أن جعل البيت الحرام للعرب عموماً، ولقريشٍ خصوصاً مثابةً للناس، أي: معاداً في كلِّ عامٍ لا يخلو منهم، يقال: ثاب إلى كذا، أي: رجع وعاد إليه)(٤٠).

المثابة في اللغة:

قال الرازي رحمه الله: (قال أهل اللغة: أصله من ثاب يثوب مثابة وثوباً إذا رجع، يقال: ثاب الماء إذا رجع إلى النهر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعد انقطاعه، وثاب إلى فلان عقلُه، أي: رجع، وتفرَّق عنه الناس، ثم ثابوا، أي: عادوا مجتمعين)(٤١).

وقال الشافعي رحمه الله:(المثابة في كلام العرب: الموضع يثوب الناس إليه، ويؤوبون: يعودون إليه بعد الذهاب عنه، وقد يقال: ثاب إليه، اجتمع إليه، فالمثابة تَجْمَعُ الاجتماع، ويؤوبون: يجتمعون إليه راجعين بعد ذهابهم عنه ومبتدئين)(٤٢).

ومن المثاب قول ورقة بن نوفل في صفة الحرم:

مَثَابٌ لأَفْنَاءِ القَبَائِلِ(٤٣)
كُلِّهَا تَخُبُّ إِلَيْهَا اليَعْمَلاَتُ الطَّلاَئِحُ(٤٤)

وقال الشاعر:

جَعَلَ البَيْتَ مَثَاباً لَهُمُ لَيْسَ
مِنْهُ الدَّهْرَ يَقْضُونَ الوَطَرْ(٤٥)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمعنى:(جعلنا البيت مرجعاً للناس ومُعاذاً، يأتونه كلَّ عام، ويرجعون إليه، فلا يَقضون منه وطراً)(٤٦).

خلاصة تفسير الآية:

قال ابن كثير رحمه الله: (ومضمون ما فسَّر به هؤلاء الأئمةُ هذه الآية: أن الله تعالى يذكر شرفَ البيت وما جعله موصوفاً به شرعاً وقَدَراً، من كونه مثابةً للناس، أي: جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح، وتحِنُّ إليه، ولا تقضي منه وطراً، ولو تردَّدت إليه كلَّ عام؛ استجابةً من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٧-٤٠])(٤٧).

المقصود برجوع الناس إليه:

قال ابن العربي رحمه الله ـ في المقصود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

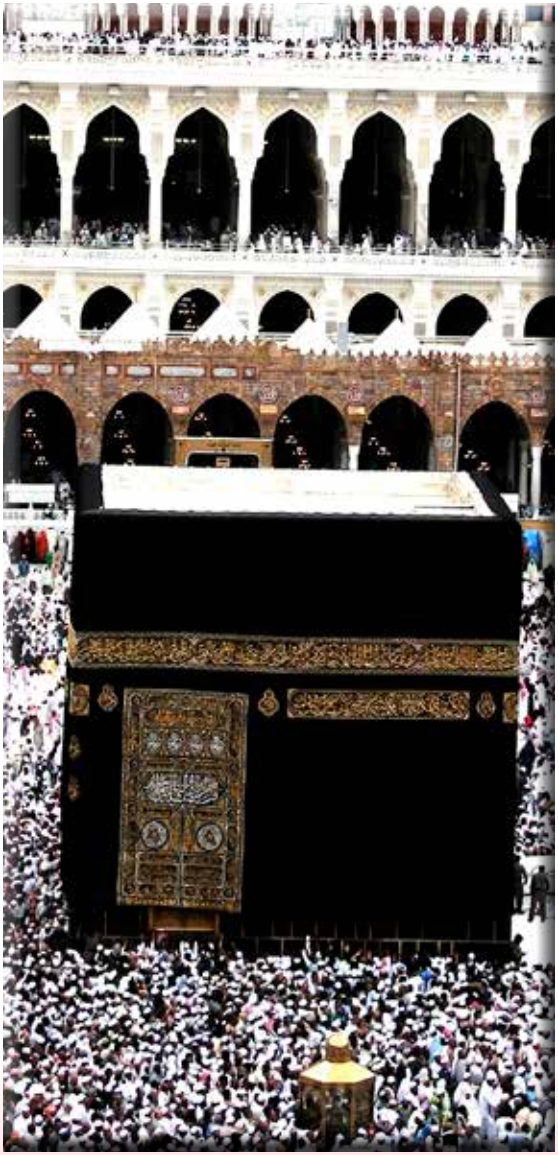

برجوع الناس إلى البيت الحرام: (فإن قيل: ليس كلُّ مَنْ جاءه عاد إليه. قلنا: لا يختصُّ ذلك بمَنْ ورد عليه، وإنما المعنى: أنه لا يخلو من الجملة، ولم يعدم قاصداً من الناس)(٤٨).

كما أنَّ قلوب المؤمنين متعلِّقةٌ به، فإذا جاؤوه لم يقضُوا منه وطراً، بل ازدادوا اشتياقاً إليه، ورغبةً في الرجوع إليه مرَّة بعد مرة، فكأنَّ هناك رجوعاً ماديًّا بالعودة إليه حقيقة، ورجوعاً معنويًّا بالقلب، وتعلُّقه به، وتمنِّي العودة إليه.

وقال الماوردي رحمه الله: (وفي رجوعهم إليه وجهان: أحدهما: أنهم يرجعون إليه المرَّة بعد المرَّة. والثاني: أنهم في كل واحد من نُسُكَيَ الحج والعمرة يرجعون إليه من حِلٍّ إلى حرم؛ لأن الجمع في كلِّ واحدٍ من النُّسكين بين الحِلِّ والحرم شرط مستحق)(٤٩).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

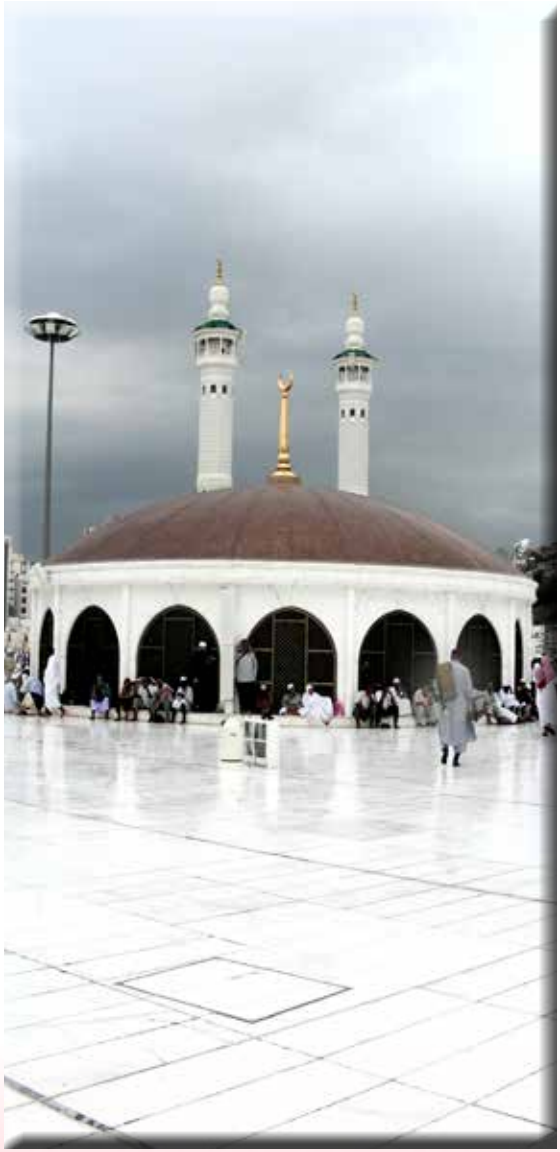

الحِكْمَة مِنْ جَعْلِ البيت مثابة:

(وإنما فَعَل الله تعالى ذلك لِمَا فيه من منافع الدنيا والآخرة، أما منافع الدنيا: فلأنَّ أهل المشرق والمغرب يجتمعون هناك، فيحصل لهم من التِّجارات وضروب المكاسب ما يعظم به النَّفع، وأيضاً فيحصل بسبب السفر إلى الحج عمارة الطريق والبلاد، ومُشاهدة الأحوال المختلفة في الدنيا، وأما منافع الدِّين: فلأنَّ مَنْ قَصَدَ البيتَ رغبةً منه في النُّسك والتقرب إلى الله تعالى، وإظهار العبودية له، والمواظبة على العمرة والطواف، وإقامة الصلاة في ذلك المسجد المُكرَّم والاعتكاف فيه، يستوجب بذلك ثواباً عظيماً عند الله تعالى)(٥٠).

الكعبة والمنافع الدِّينية والدُّنيوية:

ومن مكاسب الدِّين والدُّنيا، اجتماعُ المسلمين في كلِّ عام، ومعرفةُ أحوالهم، وتدبُّر شؤونهم، باعتباره مؤتمراً عالميًّا،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا مثيل له، ولا نظير، فليس هناك مَنْ يستطيع تجميعَ هذا العددِ الهائلِ من البشر، على اختلاف ألوانهم، وتنوُّع مشاربهم ومواردهم، إلاَّ حجُّ بيت الله الحرام، مُعلنين فيه توحيد الله تعالى، مظهرين من خلاله عزَّ الإسلام ومَنَعَتَه وقُوَّته، ملفتين أنظار البشرية جمعاءَ إلى تلك المناسك المُعظَّمة في نفوس المسلمين واجتماعهم عليها، وكم أسلمَ بسبب رؤية هذا المشهدِ المَهيب من غير المسلمين، وكم تاب وأناب برؤيته من أبناء المسلمين ممَّن كانوا على ضلالة!

جَذْبُ الكعبة للقلوب أعظم من جذْبِ المغناطيس للحديد:

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: (وقد ظهر سِرُّ هذا التَّفضيلِ والاختصاصِ في انجذاب الأفئدة، وهوى القلوب وانعطافِها ومحبَّتِها لهذا البلدِ الأمين، فجَذْبُه للقلوب أعظم من جذْبِ المِغناطيس للحديد، فهو الأَولى بقول القائل:

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مَحَاسِنُهُ هَيُولَى(٥١) كُلِّ حُسْنٍ
وَمِغْنَاطِيسُ أَفْئِدَةِ الرِّجَالِ،

ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابةٌ للناس، أي: يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطراً، بل كلَّما ازدادوا له زيارةً، ازدادوا له اشتياقاً.

لاَ يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يَنْظُرُهَا
حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاقَا

فلله، كم لها من قتيلٍ وسليبٍ وجريح، وكم أُنْفِقَ في حُبِّها من الأموال والأرواح، وَرَضِيَ المُحِبُّ بمفارقةِ فِلَذِ الأكباد والأهل، والأحبابِ والأوطان، مُقدِّماً بين يديه أنواعَ المخاوفِ والمتالف، والمعاطفِ والمشاق، وهو يستلِذُّ ذلك كلَّه ويستطيبُه، ويراه ـ لو ظهر سلطانُ المَحَبَّةِ في قلبه ـ أطيبَ من نِعَمِ المتحلية وترفهم ولذاتهم.

وَلَيْسَ مُحِبًّا مَنْ يَعُدُّ شَقَاءَه
عَذَاباً إِذَا مَا كَانَ يَرْضَى حَبِيبُهُ)(٥٢).

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المبحث السادس

تُشَدُّ الرِّحالُ إليه

ومن خصائص مسجد الكعبة أنه أوَّلُ المساجد الثلاثة التي تُشدُّ إليها الرِّحال، وهو أفضلها.

الأدلة:

١- عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ(٥٣) إِلَّا إِلى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى(٥٤)(٥٥).

٢- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: (إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ إِيلِيَاءَ(٥٦)(٥٧).

٣- عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: أَتَيْتُ الطُّورَ، فَلَقِيتُ بَصْرَةَ بن أبي بَصْرَةَ الْغِفَارِيَّ ﷺ، فقال: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟ قُلْتُ: مِنَ الطُّورِ، قال: لَوْ لَقِيتُكَ مِنْ قَبْلِ

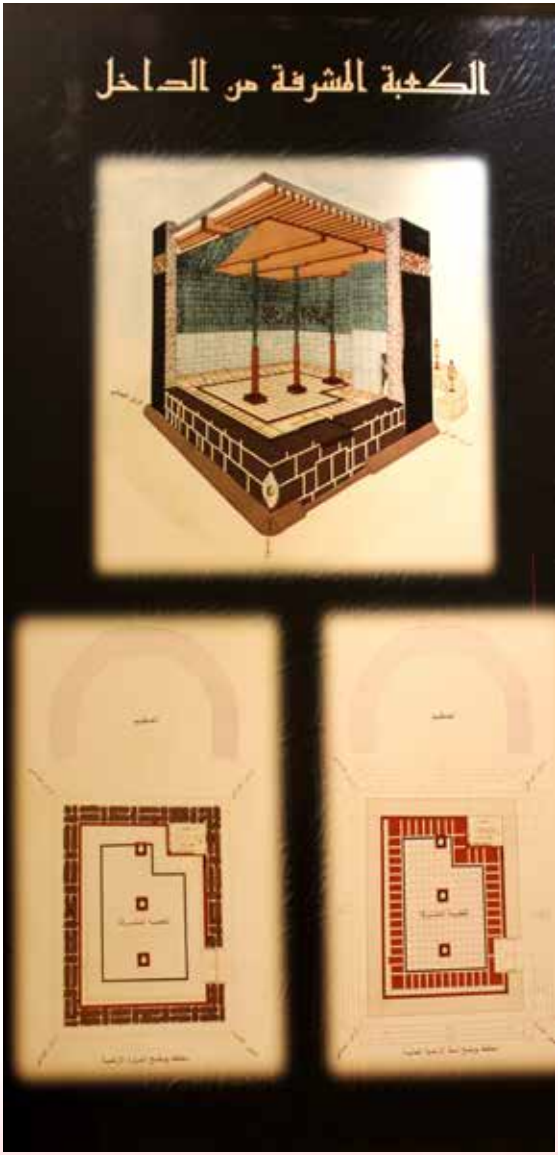

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أَنْ تَأْتِيَهُ لم تَأْتِهِ، قُلْتُ له: وَلِمَ؟ قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (لاَ تُعْمَلُ(٥٨) المَطِيُّ(٥٩) إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ؛ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ)(٦٠).

٤- عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ رضي الله عنهما؛ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال: (إِنَّ خَيْرَ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِي هَذَا، وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ)(٦١).

وجه الدلالة: فضيلة المساجد الثلاثة، ومزيَّتها على غيرها، وفضيلة شد الرِّحال إليها.

سبب شَدِّ الرِّحال إليها:

والسبب في اختصاص هذه المساجد الثلاثة بِشَدِّ الرِّحال إليها دون غيرها من بيوت الله تعالى؛ لِكونها مساجد الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لأن المسجد الحرام قِبْلَة الناس وإليه حجُّهم، ومسجد الرسول ﷺ أُسِّسَ على التقوى، والمسجد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأقصى كان قِبْلَةَ الأمم السالفة(٦٢)، وقُدِّم المسجد الحرام؛ لفضيلته عليها.

قال الإمام مالك رحمه الله: (مَنْ نذر صلاةً في مسجدٍ لا يَصِلُ إليه إلاَّ براحلة، فإنه يُصلِّي في بلده، إلاَّ أن ينذر ذلك في مسجد مكة، أو المدينة، أو بيت المقدس، فعليه السَّير إليها)(٦٣).

ولقد (كان أهل الجاهلية يقصدون مواضعَ مُعظمةً بزعمهم يزورونها، ويتبركون بها، وفيه من التحريف والفساد ما لا يخفى، فَسَدَّ النبي ﷺ الفسادَ؛ لئلا يلتحق غير الشعائر بالشعائر، ولئلا يصير ذريعة لعبادة غير الله)(٦٤).

ونقل ابن حجر رحمه الله عن السبكي رحمه الله قوله: (ليس في الأرض بقعه لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال إليها غير البلاد الثلاثة، ومرادي بالفضل: ما شهد الشرع باعتباره، ورتَّب عليه حُكْماً شرعياً، وأما غيرها من البلاد فلا تُشد إليها لذاتها،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بل لزيارة، أو جهاد، أو علم، أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات)(٦٥).

مسجد الكعبة أفضل الثلاثة في شد الرحال إليها:

وقُدِّم مسجد الكعبة على مسجد المدينة والمسجد ال أقصى؛ لما فيه من المزايا والفضائل والخصائص التي لا تتوافر فيهما، فهو أَولى بشد الرحل إليه منهما(٦٦).

المسجد الحرام يقوم مقام المسجدين حال النذر:

ومن دقيق ما ذُكِرَ في تقديم المسجد الحرام على مسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى: أنه لو نذر المسلم الاعتكاف أو الصلاة فيهما قام المسجد الحرام مقامهما، ولم يجب عليه قصدهما عند جمهور العلماء ـ خلافاً للمشهور من مذهب الإمام مالك في تفضيله المدينة(٦٧).

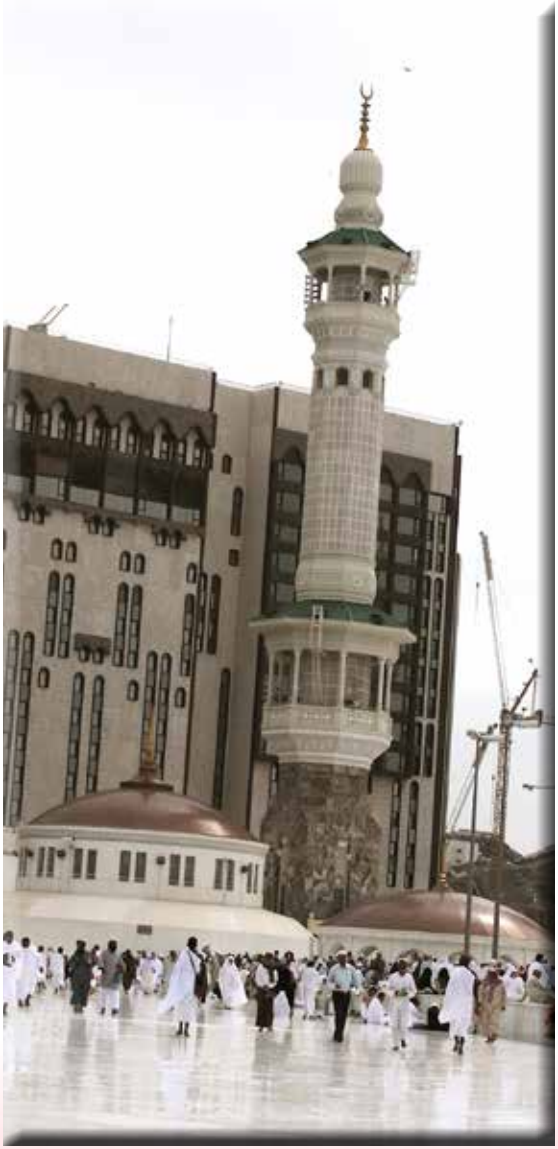

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سبب أفضليته:

أن الناذر أتى بالواجب وزيادة، وأما هما فلا يقومان مقامه، ولا يغنيان عنه؛ لأنهما أدنى منه فضلاً ومكانة، والأدنى لا يقوم مقام الأعلى(٦٨).

الأدلة:

١- ما جاء عن ابن عُمَرَ ﷺ أنَّ عُمَرَ ﷺ قال: يا رَسُولَ اللهِ! إني نَذَرْتُ في الجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً في المَسْجِدِ الحَرَامِ. قال:(أَوْفِ بِنَذْرِكَ)(٦٩).

٢- عن جَابِرِ بن عبد اللهِ ﷺ؛ أَنَّ رَجُلاً قام يوم الْفَتْحِ، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ! إني نَذَرْتُ للهِ: إِنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكَ مَكَّةَ؛ أَنْ أُصَلِّيَ في بَيْتِ المَقْدِسِ رَكْعَتَيْنِ! قال: (صَلِّ ها هنا)، ثُمَّ أَعَادَ عليه، فقال: (صَلِّ ها هنا) ثُمَّ أَعَادَ عليه فقال:(شَأْنُكَ إِذَنْ)(٧٠).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣- ما جاء أَنَّ امْرَأَةً اشْتَكَتْ شَكْوَى(٧١)، فقالت: إِنْ شَفَانِي الله لأَخْرُجَنَّ فَلأُصَلِّيَنَّ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَبَرَأَتْ، ثُمَّ تَجَهَّزَتْ تُرِيدُ الْخُرُوجَ، فَجَاءَتْ مَيْمُونَةَ زَوْجَ النبي ﷺ تُسَلِّمُ عليها، فَأَخْبَرَتْهَا ذلك. فقالت: اجْلِسِي فَكُلِي مَا صَنَعْتِ، وَصَلِّي فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: (صَلاَةٌ فيه أَفْضَلُ من أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ من الْمَسَاجِدِ، إلاَّ مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ)(٧٢).

وجه الدلالة: مسجد الكعبة هو أفضل المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال؛ لما فيه من المزايا والفضائل والخصائص التي لا تتوافر في مسجدَيْ المدينة وبيتِ المقدس.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله: (من نَذَر أن يعتكف في مسجد إيلياء، فاعتكف في مسجد النبي ﷺ أجزأ عنه، ومَنْ نذر أن يعتكف في مسجد النبي ﷺ فاعتكف في المسجد الحرام أجزأ عنه)(٧٣).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المبحث السابع

الكعبة قبلة المسلمين

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: قبلة المسلمين في صلاتهم.

المطلب الثاني: الحكمة من تحويل القبلة.

المطلب الثالث: تكرار الأمر باستقبال الكعبة.

المطلب الرابع: أول صلاة بعد تحويل القبلة.

المطلب الأول

قبلة المسلمين في صلاتهم

من خصائص بيت الله الحرام أن جعله الله تعالى قبلةً(٧٤) للمسلمين، يستقبلونه في جميع صلواتهم كل يوم إلى يوم الدِّين.

وكان رسول الله ﷺ يستقبل بيت المقدس والكعبة معاً ثلاث سنوات وهو بمكة، قبل أن يُهاجر إلى المدينة(٧٥)،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم بعدما هاجر إلى المدينة استقبل بيت المقدس في جميع صلواته، ومكث على ذلك ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وقد كان هذا الاستقبال بأمر من الله تعالى(٧٦)، ثم حُوِّلت القِبلة تجاه الكعبة، يستقبلها المُصَلُّون في صلاتهم من كلِّ بقاع الأرض، وحتى قيام السَّاعة.

الأدلَّة:

١- ما جاء عن ابن عباس ﷺ قال: (كان رسول اللَّهِ ﷺ يصلي وهو بِمَكَّةَ نحو بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْكَعْبَةُ بين يَدَيْهِ، وبعدما هَاجَرَ إلى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً، ثُمَّ صُرِفَ إلى الْكَعْبَةِ)(٧٧).

وفي الحديث ملمح لطيف، وهو أنَّ الرسول ﷺ عندما كان بمكَّة أمكنه الجمع بين ما يهوى فؤاده ـ وهو الصَّلاة إلى الكعبة ـ وبين ما أمره به ربُّه ـ وهو الصَّلاة نحو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بيت المقدس ـ فكان يستقبل الكعبةَ وبيتَ المقدس معًا، فلمَّا هاجر إلى المدينة وهي إلى الشمال من مكة؛ لم يعد يمكنه الجمع بينهما فاتَّجه إلى ما أمر به ربُّه من الصَّلاة نحو بيت المقدس مؤثراً أمْرَ ربِّه على هوى نفسه، إلى أنْ جاء أمر ربِّه بالتَّوجُّه نحو الكعبة.

٢- ما جاء عن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ ﷺ قال: (كان رسول اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أو سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكان رسولُ اللهِّ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إلى الْكَعْبَةِ؛ فَأَنْزَلَ الله: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَتَوَجَّهَ نحو الْكَعْبَةِ)(٧٨).

الجمع بين الروايتين:

أفاد حديث ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ مكثوا يصلون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نحو بيت المقدس وهم بالمدينة ستة عشر شهراً، وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، فالشك من البراء رضي الله عنه، ومن أجل ذلك اختلف العلماء: فرجَّح النووي: أنها ستة عشر شهراً(٧٩)، على حين نصَّ القاضي عياض: على صحة سبعة عشر شهراً(٨٠)، وجَمعَ بينهما بعضهم؛ كابن حجر رحمه الله قائلاً: (والجمع بين الروايتين سهل: بأن يكون مَنْ جزم بستة عشر لَفَّقَ من شهر القدوم، وشهر التحويل شهراً، وألغى الزائد، ومَنْ جزم بسبعة عشر عَدَّهما معاً، ومَنْ شكَّ تردَّد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأوَّل بلا خلاف، وكان التَّحويل في نصف شهر رجب، من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور)(٨١).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطلب الثاني

الحكمة من تحويل القِبلة

إنَّ تحويل القِبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام حَدَثٌ عظيم في تاريخ الأمة الإسلامية؛ وذلك لِما تضمَّنه هذا الحدث من حِكَمٍ بالغةٍ، وفوائدَ عظيمةٍ، نُشير إليها فيما يلي:

١- **إظهار مَنْ سينقاد لحُكْمِ الله تعالى ممَّن سَيُعْرِض**، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة:١٤٣] فانقاد المؤمنون، وأعرض السفهاء الذين قال فيهم ربُّ العِزَّة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢].

والسفهاء هنا: هم خِفاف الأحلام، ويشمل ذلك مشركي العرب، وأحبار اليهود، والمنافقين(٨٢).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فكان الحَدَثُ امتحانًا واختبارًا نهائيًا؛ ليتبيَّن من خلاله للنبي ﷺ مَنْ معه قلباً وقالباً ممَّن معه قالباً فقط، خاصة وأنَّ هناك مهاماً جِساماً، وأهدافاً عِظاماً سيواجهها المسلمون، وهي بحاجة إلى أن يكون الصف خالياً من المنافقين والمثبِّطين والمهزومين؛ ليقوى الصف على مواجهة تلك المهام والأحداث العُظمى، وليدخل تلك المرحلة الجديدة من حياة الأُمَّة آمناً مطمئناً بكامل قُوَّته.

٢- أنَّ النبي ﷺ كان يُحِبُّ أن يُصلِّي إلى الكعبة؛ لأنها قِبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وقد خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٤]. إضافةً إلى ارتباط القلوب وتعلُّق الأفئدة به؛ لِمَا أودعه الله تعالى فيه من تلك المزيَّة التي تميَّز بها عن غيره، ألا وهي

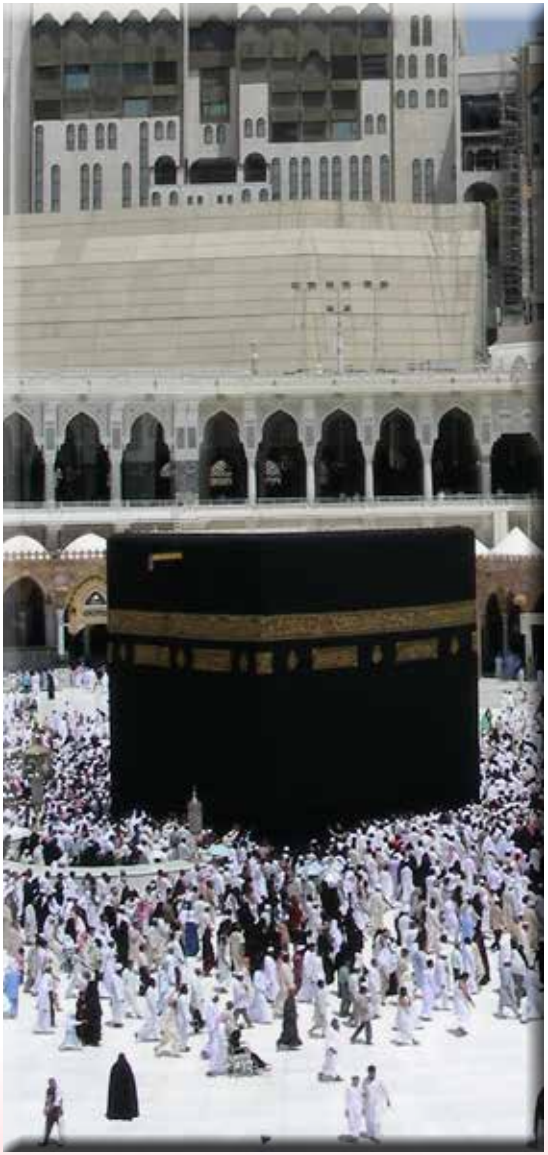

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اشتياق الأرواح إليه، وحنين الأفئدة نحوه، فكان فؤاد رسول الله ﷺ مُعلَّقاً به، ومشتاقاً إليه إلى أن استجاب له ربُّه، وأعطاه سؤله، وحقَّق أُمنيته.

وفيه فائدة أخرى: وهي بيان مكانة رسول الله عند ربِّه تعالى، وإكرامه له بتنفيذ ما يخطر بباله، ويهفو إليه فؤاده، وإنْ كان هذا السبب ليس بالسبب الوحيد كما سيأتي بيانه.

٣- **تمييز المسلمين عن غيرهم من المشركين واليهود.** (فأمرهم الله تعالى حين كانوا بمكة أن يتوجَّهوا إلى بيت المقدس؛ ليتميَّزوا عن المشركين، فلمَّا هاجروا إلى المدينة وبها اليهود، أُمِروا بالتوجه إلى الكعبة ليتميَّزوا عن اليهود)(٨٣).

٤- **تَجْريد المسلمين من أيِّ نعرة أو عصبية، والإخلاص لله تعالى في جميع أمورهم؛** فقد كان العرب يُعظِّمون البيت الحرام في جاهليتهم، ويعدونه عنوان مجدهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

القومي، وقد امتحن الله عباده في تحويل الكعبة إلى بيت المقدس أولاً ثم إلى الكعبة ثانياً؛ ليُخَلِّص نفوسهم وقلوبهم من رواسب الجاهلية، ومن التعلُّق بغير الله عز وجل، ويُخلِّصها كذلك من كل نعرة عنصرية، وكل عصبية أرضية، وكل ملابسة تاريخية(٨٤).

٥- **تعويد المسلمين على الامتثال لأوامر الله تعالى دون نقاشٍ أو جدال؛** فما دام الأمر صادراً من الله تعالى، فعَلَى المسلمين السَّمع والطاعة حتى دون أن يبحثوا عن حكمةٍ أو علة وراء هذا الأمر، فعَيْن الحكمة هو الأمر ذاته الصادر من الله سبحانه وتعالى إلى عباده.

٦- **تهيئة الناسِ لقبول رسالة النبي ﷺ،** وأنه بُعِث بما بُعِث به الأنبياء قبله، فلم يكن بدعاً من الرسل.

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله:

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(وتأمل الحكمة الباهرة في شرع الصلاة أولاً إلى بيت المقدس، إذ كانت قبلة الأنبياء، فبُعِث بما بُعِث به الرسل، وبما يعرفه أهل الكتاب، وكان استقبال بيت المقدس مقرِّراً لنبوته، وأنه بعث بما بعث به الأنبياء قبله، وأن دعوته هي دعوة الرسل بعينها، وليس بدعاً من الرسل، ولا مخالفاً لهم، بل مصدِّقاً لهم مؤمناً بهم، فلما استقرت أعلام نبوته في القلوب وقامت شواهد صدقه من كل جهة، وشهدت القلوب له بأنه رسول الله حقاً، وإن أنكروا رسالته عناداً وحسداً وبغياً، وعَلِمَ سبحانه أن المصلحة له ولأمته أن يستقبلوا الكعبة البيت الحرام، أفضل بقاع الأرض، وأحبها إلى الله، وأعظم البيوت، وأشرفها، وأقدمها)(٨٥).

٧- في تحويل القبلة إلى الكعبة بيانٌ إلهي يشمل عدَّة أمور، منها:

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أ- **انتقال النبوة من تلك الشجرة المباركة** من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام إلى ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، الذي شارك والدَه في بناء الكعبة، والذي ارتبط اسمه بها.

ب- **انتقال الأمانة؛ أمانةِ الدعوة والرسالة إلى أُمَّة محمد ﷺ**، وانتقلت معها الخيرية التي كانت ممنوحة من قَبْلُ إلى بني إسرائيل، فتحوَّلت إلى أمة محمد ﷺ يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله.

ج- **لتكون الأُمَّة الإسلامية هي الأمة الوسط**، ليس فقط من حيث القيم والمُثُل والمبادئ والتشريعات والاعتقادات، وإنما أيضاً من حيث المكان، فأوسط الشيء أشرفه وأفضله، وليست هناك بقعة على وجه الأرض أشرف ولا أفضل من الكعبة، بيتِ الله الحرام.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطلب الثالث

تكرار الأمر باستقبال الكعبة

آيات تحويل القبلة:

كان النبي ﷺ يُحِبُّ أن يستقبل قِبلة إبراهيم الخليل عليه السلام، وظلَّ طَوال ستةَ عشر شهراً أو سبعةَ عشر شهراً يرنو بنظره إلى السماء مناجياً ربَّه سبحانه، حتى أمَرَه ربُّه باستقبال الكعبة، وفي ذلك أنزل الله تعالى قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة:

١- قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ...﴾ [البقرة: ١٤٤].

٢- وقال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ...﴾ [البقرة: ١٤٩].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣- وقال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ... ﴾ [البقرة: ١٥٠].

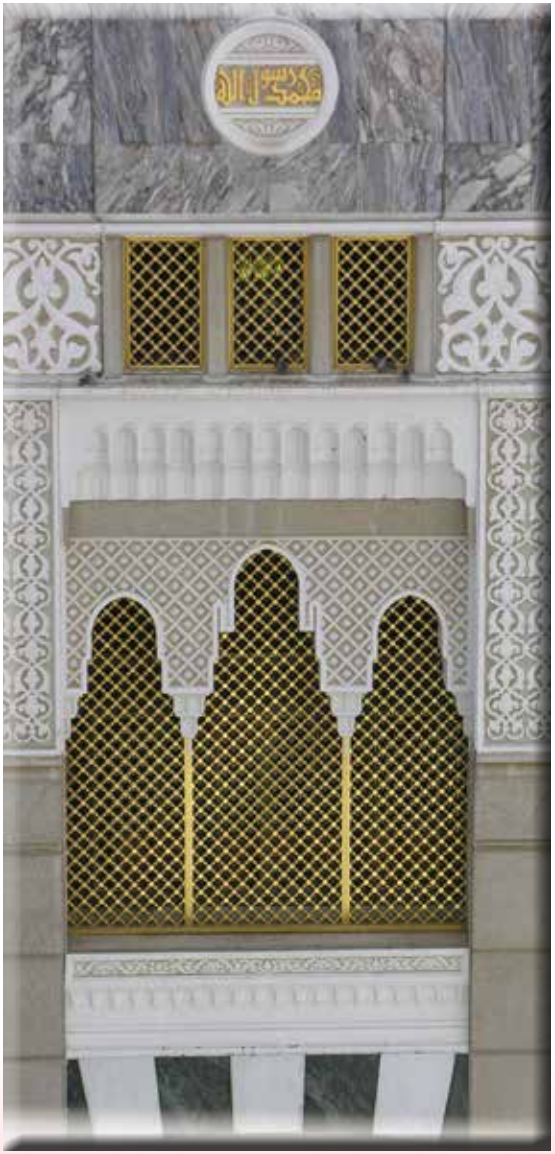

آراء العلماء حول تكرار الأمر باستقبال الكعبة:

تعدَّدت آراء العلماء: حول تكرار الأمر باستقبال القبلة، والفوائدِ المتعلِّقة به على النحو الآتي:

١- أنَّ التَّكرار لتأكيد النسخ؛ لأن نسخ القبلة أول ناسخ وقع في الإسلام، ولِيَحْسِمَ هذا التأكيدُ طمعَ أهل الكتاب في رجوع المسلمين إلى قبلتهم(٨٦).

قال القرطبي رحمه الله: (أجمع العلماء: على أن القبلة أول ما نُسِخَ من القرآن)(٨٧).

٢- أنَّ الأمر الأوَّل: لِمَنْ يُشاهد الكعبة، والثاني:

شبكة الألوكة
www.alukah.net

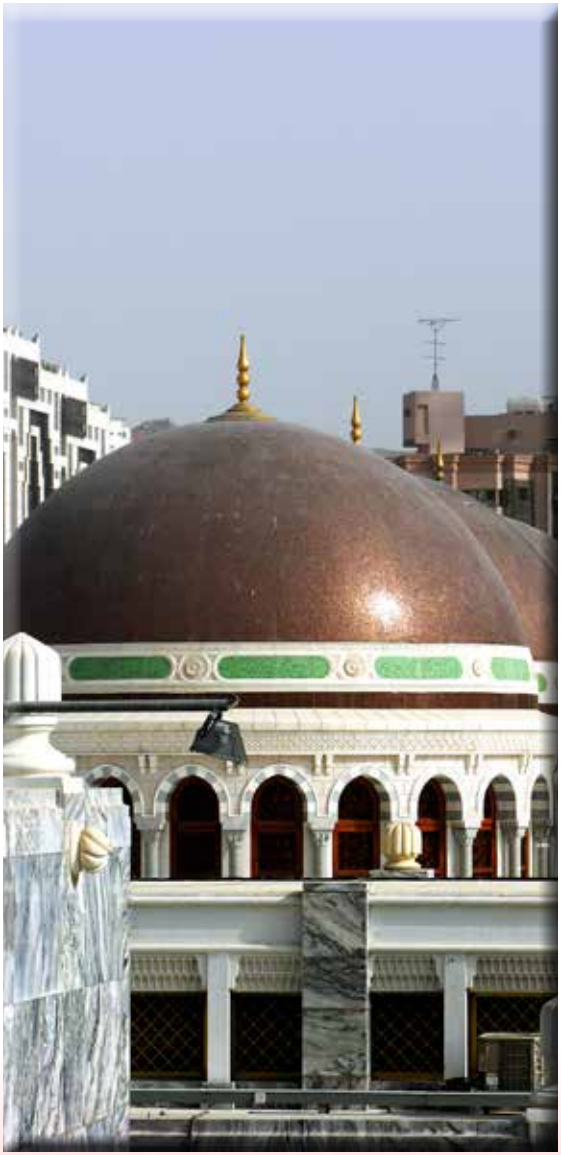

لَمْ هو في مكة ولا يُشاهد الكعبة، والثالث: لَمْ هو في بقيَّة البلدان(٨٨).

٣- أنَّ الأمر الأوَّل: لَمْ هو بمكة، والثاني: لَمْ في بقية البلدان، والثالث: لَمْ خرج في الأسفار، ورجَّحه القرطبي(٨٩).

وما أحسن ما قرَّر الرازي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآيات، قائلاً: (اعلم أنَّ أوَّل ما في هذه الآية من البحث: أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وذكر ههنا ثانياً قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٩]. ثم ذكر ثالثاً قوله: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ [البقرة: ١٥٠].

فهل في هذا التَّكرار فائدة أم لا ؟

وللعلماء فيه أقوال: أحدها: أن الأحوال ثلاثة، أوَّلها: أن يكون الإنسان في المسجد الحرام. وثانيها: أن يخرج عن المسجد الحرام ويكون في البلد. وثالثها: أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض؛ فالآية الأُولى محمولة على الحالة الأُولى، والثانية على الثانية، والثالثة على الثالثة؛ لأنه قد كان يُتوهَّم أن للقرب حُرمةً لا تثبت فيها للعبد، فلأجل إزالة هذا الوهم كرَّر الله تعالى هذه الآيات.

والجواب الثاني: أنه سبحانه إنما أعاد ذلك ثلاث مرات؛ لأنه علَّق بها كل مرة فائدة زائدة،أما في المرَّة الأُولى: فبيَّن أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد ﷺ وأمر هذه القبلة حق؛ لأنهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل، وأما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في المرَّة الثانية: فبين أنه تعالى يشهد أن ذلك حق، وشهادة الله بكونه حقاً مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً، وأما في المرَّة الثالثة: فبين أنه إنما فعل ذلك لئلا يكون للناس عليكم حجة، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها؛ لأجل أن يترتب في كل واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

والجواب الثالث: أنه تعالى قال في الآية الأُولى: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٤]. فكان ربما يخطر ببال جاهل أنه تعالى إنما فعل ذلك طلباً لرضا محمد ﷺ ؛ لأنه قال: ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [البقرة: ١٤٩]. أي: نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك، بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق الذي لا مَحِيدَ عنه، فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل، كقبلة اليهود المنسوخة التي إنما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل، ثم أنه تعالى قال ثالثاً: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٥٠]. والمراد: دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات، ولا تتولَّوا فيصير ذلك التَّولي سبباً للطعن في دينكم، والحاصل أنَّ الآية السَّالفة [الأُولى]: أمْرٌ بالدَّوام في جميع الأمكنة، والثانية: أمْرٌ بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة، والثالثة: أمْرٌ بالدوام في جميع الأزمنة، وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخاً ألبتَّة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والجواب الرابع: أنَّ الأمر الأوَّل: مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام.

والثاني: مقرون بقوله تعالى: ﴿ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ﴾ [البقرة: ١٤٨]. أي: لكل صاحب دعوة وملة قبلة يتوجه إليها، فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله تعالى أنها حق، وذلك هو قوله: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٩].

والثالث: مقرون بقطع الله تعالى حجة مَنْ خاصمه من اليهود في أمر القبلة، فكانت هذه علاً ثلاثاً قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة، نظيره أن يقال: الزمْ هذه القبلة؛ فإنها القبلة التي كنت تهواها، ثم يقال: الزمْ هذه القبلة؛ فإنها قبلة الحق لا قبلة الهوى،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

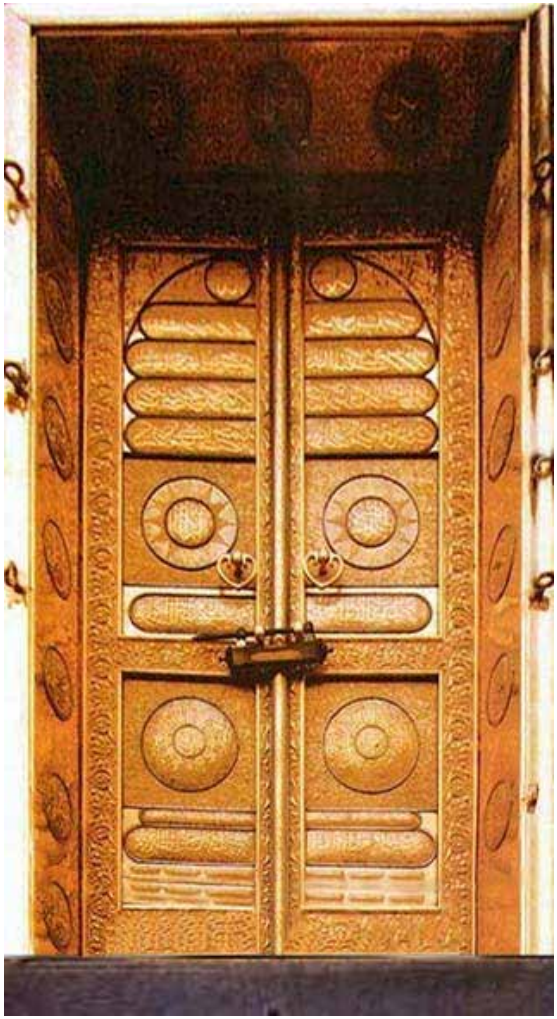

وهو قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ثم يقال: الزمْ هذه القبلة؛ فإن في لزومك إياها انقطاعَ حُجَج اليهود عنك، وهذا التَّكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٣٠]. وكذلك ما كُرِّر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٢١].

والجواب الخامس: أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا، فدعت الحاجة إلى التكرار؛ لأجل التأكيد والتقرير، وإزالة الشبهة، وإيضاح البينات)(٩٠).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطلب الرابع

أول صلاة بعد تحويل القبلة

اختلفت الروايات: في أوَّل صلاةٍ صلاَّها رسول الله ﷺ إلى الكعبة، بعد تَحوُّل القبلة إليها، والراجح: أنها صلاة العصر.

الدليل:

ما جاء عن الْبَرَاءِ ﷺ قال:(لَمَّا قَدِمَ رسولُ اللهَّ ﷺ الْمَدِينَةَ، صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ، أو سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكان يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إلى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فَوُجِّهَ نحو الْكَعْبَةِ، وَصَلَّى معه رَجُلٌ الْعَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَمَرَّ على قَوْمٍ من الأَنْصَارِ، فقال: هو يَشْهَدُ أَنَّهُ صلى مع النبي ﷺ، وَأَنَّهُ قد وُجِّهَ إلى الْكَعْبَةِ، فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ في صَلاَةِ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الْعَـصْرِ)(٩١).

قـال الشـوكاني رحمه الله في سـياق جمعـه بـين الروايـات: (وَالجَمْـعُ بـين هـذه الرِّوَايَـاتِ: أَنَّ مَـنْ قـال: إِحْـدَى صَـلاتَيْ العشي، شَـكَّ هـل هِـيَ الظُّهْـرُ أو الْعَـصْرُ؟ وَلَيْـسَ مَـنْ شَـكَّ حُجَّـةً عـلى مـن جَـزَمَ، فَنَظَرْنَـا فِيمَـنْ جَـزَمَ، فَوَجَدْنَـا بَعْضَهُـمْ قال: الظُّهْـرُ، وَبَعْضَهُـمْ قـال: الْعَـصْرُ، وَوَجَدْنَـا رِوَايَـةَ الْعَـصْرِ أَصَـحَّ؛ لِثِقَـةِ رِجَالِهَـا، وَإِخْـرَاجِ الْبُخَـارِيِّ لهـا في صَحِيحِـهِ.

وَأَمَّـا حَدِيـثُ كَوْنِهَـا الظُّهْـرَ، فَفِـي إِسْـنَادِهَا مَـرْوَانُ بـن عُثْـمَانَ، وهـو مُخْتَلَـفٌ فيـه.

وَأَمَّـا رِوَايَـةُ: أَنَّ أَهْـلَ قُبَـاءَ كَانُـوا في صَـلاةِ الصُّبْـحِ، فَيُمْكِـنُ أَنَّـهُ أَبْطَـأَ الْخَـبَرَ عَنْهُـمْ إِلَى صَـلاةِ الصُّبْـحِ)(٩٢).

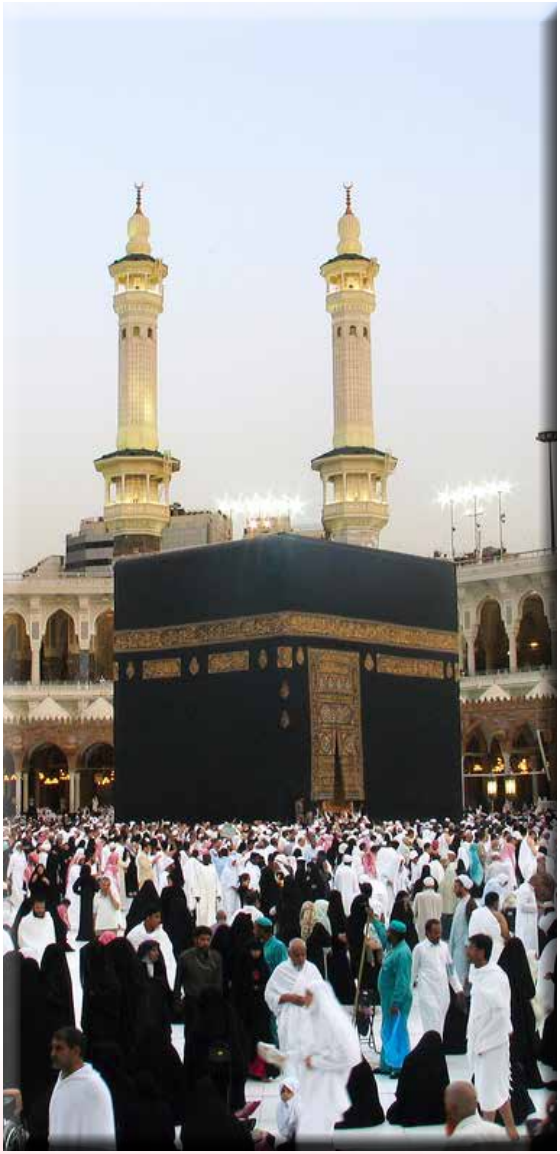

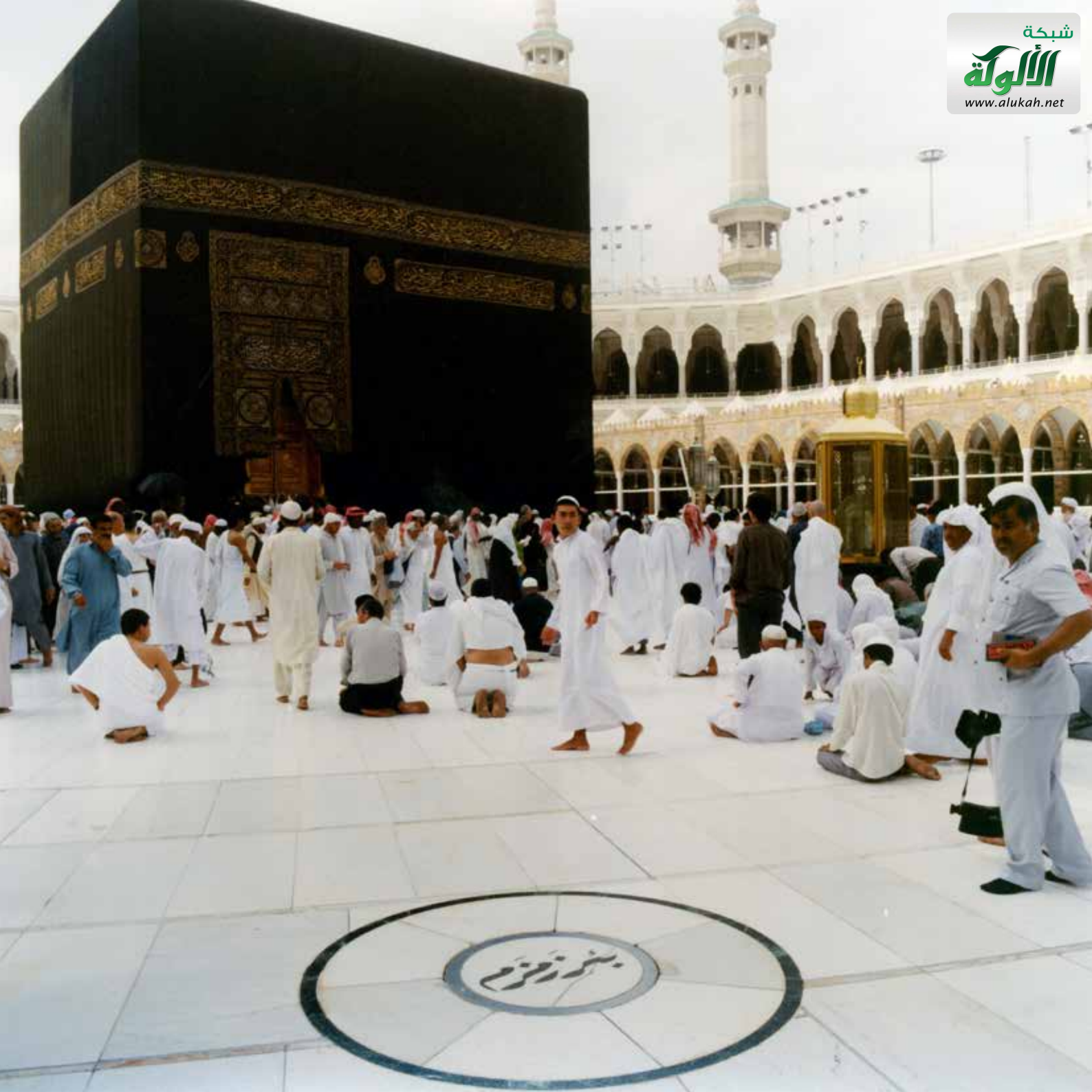
بئر زمزم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المبحث الثامن

مشروعية الطواف حوله

تعريف الطواف:

الطواف في اللغة: هو الدوران(٩٣).

وفي المعنى الاصطلاحي: هو الدوران حول الكعبة طاعةً لله تعالى(٩٤)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

اختصاص البيت العتيق بالطواف:

وخصَّ الله تعالى بيته الحرام دون سائر بقاع الأرض بشعيرة لا يجوز فِعْلُها إلاَّ فيه؛ وهي الطواف، ذلك النُّسك الفريد؛ في شكله وفي معناه، فلا يجوز الطواف بغيره، ومَنْ طاف بغير البيت العتيق؛ من شجرٍ أو حجر أو قبر أو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

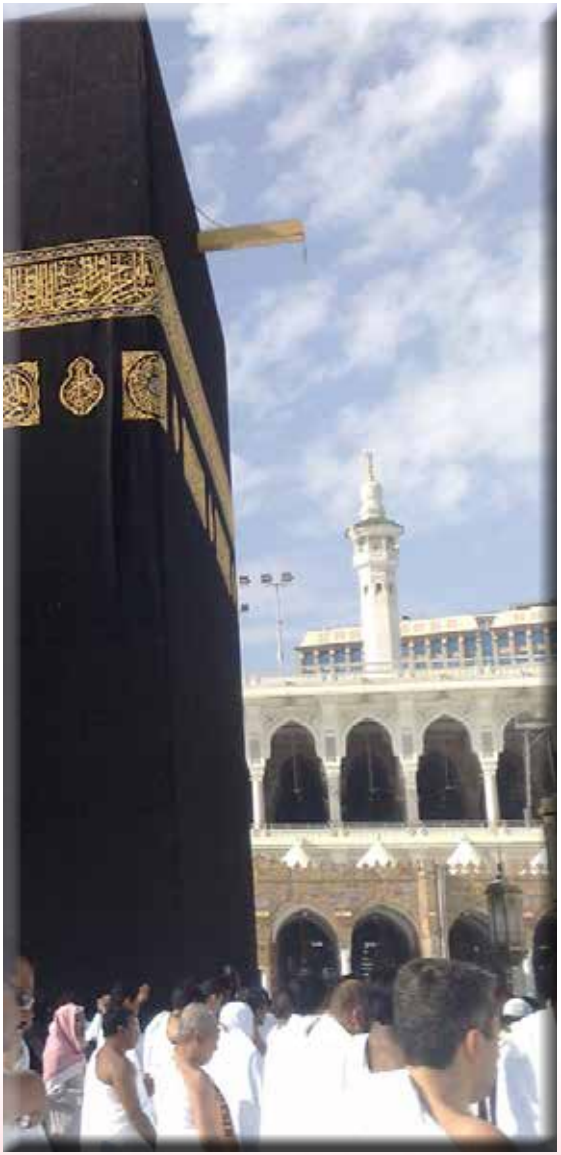

مسجد فهو ضال، بل مَن اعتقد الطوافَ بغيره دِيناً وقُربة لله عز وجل فهو مشرك كافر، نسأل الله العافية(٩٥).

وهذا هو الفارق بين الطواف بالبيت وبين الطواف بغيره، فالطواف بالبيت يتَّخذ شكلاً ونُسُكاً مُعيَّناً أتت به الشريعة الغرَّاء؛ ليكونَ شعيرة تعبُّدية لله تعالى، ويدلُّ معناه على الاستسلام والإذعان والانقياد لله تعالى؛ الذي حرَّم كافَّة أشكال الطواف، وجَعَلها شِركاً والعياذ بالله، أمَّا حول الكعبة فأباحه؛ ليَعْلَمَ المؤمن أنَّ الله تعالى يَتَعَبَّد عبادَه بما يشاء، وليس أمام العبد إلاَّ أنْ يُنَفِّذ ما أمر الله به دون إعمال للعقل أو الفكر، فمتى صَدَرَ الأمرُ من الله تعالى، وجَبَ على العبد التنفيذ، وهذا هو معنى من المعاني التي يتضمَّنها الطواف حول البيت العتيق.

ومشروعية الطواف حول البيت العتيق أعطته مزيَّة وخَصِيصة تفرَّد بها عن سائر الأماكن والبقاع تشريفاً لهذا المكان وتكريماً له.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأمر بالاستمتاع بالطواف:

الطواف بالبيت العتيق فرصة أمرنا الرسول الكريم ﷺ بالاستمتاع بها قبل أن نُحرَمها؛ ولأنها قد لا تدوم طويلاً، إذ أخبر ﷺ بضرورة استثمارها قبل فوات الأوان، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(اسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذَا الْبَيْتِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ، وَيُرْفَعُ فِي الثَّالِثَةِ)(٩٦).

أنواع الطواف:

هناك ستة أنواع للطواف(٩٧)، وهي على النَّحو التالي:

١- **طواف حين دخول مكة**، وله عدة أسماء: فيسمى طواف القدوم، وأول العهد، والدخول، واللقاء، والورود، والوارد، والقادم، والتحية، وأشهرها: طواف القدوم.

٢- **طواف الإفاضة**(٩٨)، ويقال له: طواف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الزيارة، والركن، والفرض، والصدر.

٣- طواف الوداع، ويقال له: طواف الصدر(٩٩)، وآخِر العهد، ومحله: عند إرادة السفر من مكة بعد قضاء مناسكه كلها .

وهذه الثلاثة مشروعة في الحج، وسأتكلم عنها تفصيلاً إن شاء الله تعالى .

٤- ما يتحلل به في فوات الحج.

٥- طواف نذر.

٦- طواف تطوع(١٠٠).

ولا ريب أنَّ فضل الطواف عظيم؛ لأن الله تعالى أمر به في كتابه العزيز، وقد فَعَلَه النبي ﷺ وحث عليه، والله تعالى لا يأمر إلاَّ بما له فضل كبير، وفيه فائدة للناس في الدنيا والآخرة، ولا يفعل رسول الله ﷺ إلاَّ ما ينفع في الدنيا والآخرة، ويكفيه فضلاً أنه طاعة لله، واستجابة لأمره.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المبحث التاسع

عين زمزم تُجاورها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: زمزم ثمرة دعاء الخليل، وتوكُّلِ هاجر.

المطلب الثاني: انبثاق عين زمزم بواسطة جبريل.

المطلب الثالث: زمزم أعظم النِّعم والمنافع.

المطلب الرابع: غُسِل بزمزم قلب أطهر الخَلْق.

المطلب الخامس: عين زمزم لا تنضُبُ أبداً.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطلب الأول

زمزم ثمرة دعاءِ الخليل، وتوكُّلِ هاجر

لَمَّا ترك إبراهيمُ عليه السلام هاجرَ وابنَها إسماعيلَ عند البيت المُحَرَّم (تَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فقالت: يا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بهذا الْوَادِي، الذي ليس فيه إِنْسٌ ولا شَيْءٌ؟ فقالت له ذلك مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فقالت له: آللهُ الذي أَمَرَكَ بهذا؟ قال: نعم، قالت: إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حتى إذا كان عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لاَ يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

... فإذا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ ـ أو قال: بِجَنَاحِهِ ـ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حتى ظَهَرَ الْماءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ من الْماءِ في سِقَائِهَا وهو يَفُورُ بَعْدَ ما تَغْرِفُ.

قال ابنُ عَبَّاسٍ ﷺ قال النبيُّ ﷺ: يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لو تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أو قال: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ من الْماءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا)(١٠١).

زمزم دليل ملموس لمَنْ طلب القدوة في التوكل:

وتبقى زمزمُ شاهداً على توكُّل هاجر رحمها الله على ربِّها وحسن ظنِّها به؛ إذ أذعنت لأمره وانقادت لمشيئته، قائلةً: (إِذَنْ لاَ يُضَيِّعُنَا)، فرجعت واثقةً من فضل الله تعالى، وعنايته بها وبرضيعها، كما مرَّ بالحديث.

فزمزم إذن ليست مجرَّد عينٍ تنبع منها الماء، وإنما هي قصَّة إيمانٍ حقيقية،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تشهد عليها وتقصُّها لَمَنْ يُشاهدها ويراها، وتخليدٌ لذكرى تلك المرأة المؤمنة الواثقة من رحمةِ ربِّها، الموقنة بفضله.

وهي دليل ماديٌّ ملموس لكلِّ مَنْ أراد العبرة، وطَلَب القدوة في التوكل على الله، وحُسن الظنِّ به، ضَرَبَه الله مثلاً غير مكتوبٍ، ولا مسموعٍ، وإنما مَثَلاً مرئياً؛ ليكون أوقعَ في النفس، وأبلَغَ في الفَهم، لَمَنْ كان له قلب، وكان له عقل.

المطلب الثاني

انبثاق عين زمزم بواسطة جبريل

من خصائص ماء زمزم أنه انبثق بواسطة جبريل الأمين عليه السلام بأمرِ الله تعالى له، ولو شاء الله تعالى لأمر الماء أن يَنْبُع بنفسه كباقي المياه، ولكن أراد سبحانه إظهار شرف هذا الماء المبارك، فكان ذلك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

زيادةً له في التشريف والبركة والتعظيم.

قال ابن عباس ﷺ ـ في شأن انبثاق عين زمزم: (فلما أَشْرَفَتْ [هاجر] على الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فقالت: صَهٍ ـ تُرِيدُ نَفْسَهَا ـ ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فقالت: قد أَسْمَعْتَ إن كان عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فإذا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ ـ أو قال: بِجَنَاحِهِ ـ حتى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ من الْمَاءِ في سِقَائِهَا وهو يَفُورُ بَعْدَ ما تَغْرِفُ)(١٠٢).

وفي روايةٍ: (فإذا هِيَ [هاجر] بِصَوْتٍ، فقالت: أَغِثْ إن كان عِنْدَكَ خَيْرٌ، فإذا جِبْرِيلُ عليه السلام، قال: فقال بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ عَقِبَهُ على الأرض، قال: فَانْبَثَقَ الْمَاءُ، فَدَهَشَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِرُ، قال: فقال أبو الْقَاسِمِ ﷺ: لو تَرَكَتْهُ كان الْمَاءُ ظَاهِرًا)(١٠٣).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من أسماء زمزم:

لانْبِثاق ماءِ زمزمَ بواسطة جبريلَ عليه السلام كانت العرب تُطْلِق عليها أسماءً وأوصافاً تُناسب هذا الحَدَثَ الجَلَل، فمن ذلك:

١- رَكْضَةُ جبريل: أي: وطأته وخفقةٌ من جناحه. وأصل الرَّكْض: الضرْب بالرِّجل والإصابة بها، وتَحَرُّك الجناح، وسُمِّيت عين زمزم بهذا الاسم؛ لأن جبريل عليه السلام ضَرَب الأرض بجناحه، فانفجر ماء زمزم(١٠٤).

٢- هَزْمَةُ جبريل: أيْ: ضَرَبَهَا بِرِجْلِه، فَانْخَفَضَ المَكَانُ، فَنَبَعَ المَاءُ(١٠٥). والهَزْمَة: الغَمْزَة بالعَقِب في الأرض(١٠٦)، وقيل: معناه أنه هَزَمَ الأرضَ، أي: كَسَر وجهَها عن عينها حتى فاضت بالماء الرَّواء(١٠٧).

٣- هَمْزَة جبريل: بتقديم الميم على الزاي ـ وسميت بذلك؛ لأن جبريل عليه السلام هَمَزَ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بِعَقِبه في موضع زمزم، فنبع الماء(١٠٨).

قال السهيلي رحمه الله: (وفي تفجيره إيَّاها بالعَقِب دون أن يُفجِّرها باليد أو غيره: إشارة إلى أنها لِعَقِبه وِراثةً، وهو محمد ﷺ وأُمَّته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]. أي: في أُمَّة محمد ﷺ)(١٠٩).

٤- وَطْأَةُ جبريل: أي: خَفْقَة من جناحه (١١٠).

عين زمزم نبعت في أطهر بقعة:

ومن خصائص ماء زمزم وبركته أن الله تعالى اختار أن ينبثق في أطهر بقعة على وجه المعمورة، وبجوار بيته المعظم، وفي الوادي الخالي من مظاهر الحياة؛ ليظهر بذلك عظيم قَدْره، إذ اختار له هذا المكان المُحرَّم، وأحاطه بهذه الخاصية النادرة، وجعله سُقْيا مباركة لحجاج وعمار البيت العتيق، بل للناس أجمعين.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطلب الثالث

زمزم أعظم النِّعم والمنافع

كانت زمزمُ من أعظم النعم والمنافع المباركة التي وهَبَها الله تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام استجابةً لدعائه: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، ما جعل هذا الماءَ المبارك سبباً أوَّلياً لعمارة مكة، ونشوء الحياة فيها وازدهارها على مرِّ السنين، وعلى رأس هذا الازدهار: عمارة البيت الحرام، وما يعقب ذلك من مجيء الناس من كلِّ فجٍّ عميق؛ ليشهدوا منافع لهم في الدنيا والآخرة؛ كما قال سبحانه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۞ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٧ـ ٢٨].

فزمزم هي اللَّبنة الأولى في بناء البلد الحرام، وهي الوسيلة الأُولى لتحقيق هذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

البناء، وهي الإشارة الأُولى لجذب الناس إلى هذا المكان؛ ليتمَّ البناء، وليكونَ كما هو مُشاهد اليوم للحاضر والباد في كلِّ مكان.

(ومن أعظم هذه المنافع العِظام التي يَشْهدُها الحجاج والعُمَّار في حرم الله: منفعةُ ماء زمزم، حيث يشربون ويتضلَّعون منه، وينالون من خيراته وبركاته، ويكسبون الدعاء المستجاب عند شربه، فماء زمزم لما شرب له من حوائج الدنيا والآخرة، فهو حقاً من نِعَم الله العظمى التي جعلها الله تعالى للمؤمنين في هذا المكان الطيب المبارك عند بيته المحرَّم.

وهناك مَنْ لا يُحصى من المرضى قد أكرمهم الله بشفائهم ببركة ماء زمزم من أمراض مُعضِلة عَجَزَ عنها جَمْعُ الأطباء، وحكمة الحكماء)(١١١).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

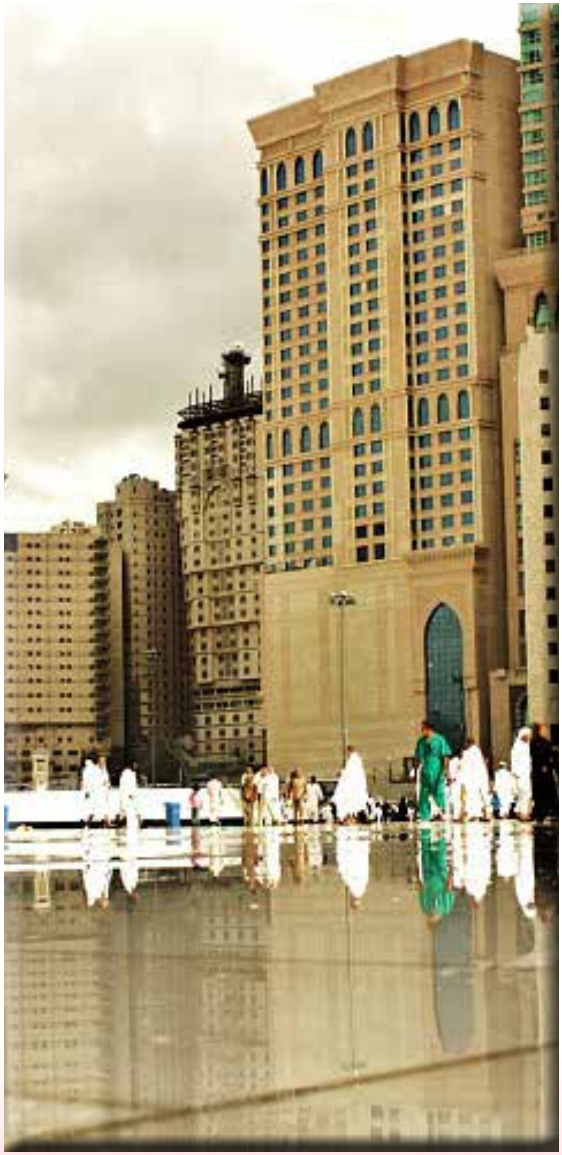

فضائل زمزم لا تُحصى:

ماء زمزم ماءٌ مبارك؛ فهو في أشرف بقاع الأرض بجوار بيت الله الحرام، وهو تنفيذ لأمرِ الله تعالى، أمَرَ به جبريلَ عليه السلام لنجدة أهلِ بيتِ نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام، وقد خصَّه الله تعالى بفضائل لا تُحصى، (ومَنْ يُحْصي فضائلُه؟ فكم مِنْ مُبتلىً قد عُوفِي بالمُقام عليه، والشُّربِ منه، والاغتسالِ به؟ بعد أن لم يَدَعْ في الأرض يَنبوعاً إلاَّ أتاه، واستنقع فيه! وكم من مُتَزَوِّدٍ منه في القوارير إلى أقاصي البلدان؛ لدوائه، وغاسِلِ ثيابِه بمائِه؛ لما يرجوه من بركته وحُسْنِ عائدته؟

قال الأعشى - وهو يُؤنِّبُ رجلاً، ويُخبره أنه مع شَرَفِه، لم يبلغ مبلغَ قريشٍ، الذين هم سُكَّان حَرَمِ الله، ولهم حَظُّ الشُّرب من زمزم:

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فما أنتَ مِنْ أهل الحَجُونِ(١١٢)ولا الصَّفَا ولا لَكَ حَظُّ الشِّرْبِ مِنْ مَاءِ زَمْزَم)(١١٣).

عين زمزم من الآيات البيِّنات:

من أعظم الآيات البينات عند بيت الله المحرَّم عين زمزم(١١٤)؛ شأنها شأن مقام إبراهيم، والحَجَر الأسود، والركن اليماني، والحَطِيم، ونحوها؛ كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَلَمِينَ * فِيهِ ءَايَتُۢ بَيِّنَتٌ ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

المطلب الرابع

غُسِل بزمزم قلب أطهر الخَلْق

من خصائص ماء زمزم وبركته أن الله تعالى اختاره من بين سائر المياه؛ لغسل قلب حبيبه ومصطفاه من خَلْقِه ﷺ؛ ليُستخرج من قلبه حظُّ الشيطان،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولتقوية قلبه وإعداده لتلقي الوحي، فقد شُقَّ صدره الشريف ﷺ أربع مرات، وفي كل مَرَّة يُغسل بماء زمزم(١١٥)، ومن ذلك:

١- ما جاء عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه؛ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وهو يَلْعَبُ مع الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عن قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ منه عَلَقَةً، فقال: هذا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ في طَسْتٍ من ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَّهُ(١١٦)، ثُمَّ أَعَادَهُ في مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إلى أُمِّهِ، [يَعْنِي ظِئْرَهُ(١١٧)] فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قد قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ، وهو مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ(١١٨). قال أَنَسٌ رضي الله عنه: وقد كُنْتُ أرى أَثَرَ ذلك الْمِخْيَطِ(١١٩) في صَدْرِهِ)(١٢٠).

٢- ما جاء عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: كان أبو ذَرٍّ رضي الله عنه يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال:(فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتِي وأنا بِمَكَّةَ،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جاء بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ في صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا...)(١٢١).

حِكْمَة غَسْل قلبه ﷺ بماء زمزم:

وعن حِكْمَة غَسْل قلبِ النبيِّ ﷺ بماء زمزم يُحدثنا ابن حجر رحمه الله فيقول: (وفيه فضيلةُ ماء زمزم على جميع المياه، قال ابن أبي جمرة: وإنما لم يُغسل بماءِ الجنة؛ لِمَا اجتمع في ماء زمزم من كون أصل مائها من الجنة، ثم استقر في الأرض، فأُريد بذلك بقاء بركة النبي ﷺ في الأرض، وقال السُّهيلي: لَمَّا كانت زمزم هَزْمَة جبريلَ روح القدس، لأمِّ إسماعيل جدِّ النبيِّ ﷺ، نَاسب أن يُغسل بمائها عند دخول حضرة القُدُس ومناجاته)(١٢٢).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مُباركةُ النبي ﷺ عينَ زمزم بريقه الشَّريف:

جعل الله تعالى لريق نبينا ﷺ خصائص ظاهرة، ومعجزات كثيرة باهرة؛ من ذلك: أن ريقه الشريف ﷺ شفاء للعليل، ورواء للغليل، وغذاء وقوة وبركة ونماء، فكم داوى ﷺ بِرِيقه الشريف من مريض، فبرأ بإذن الله تعالى من ساعته(١٢٣)؛ ومن ذلك:

١- ما جاء في قصة عليٍّ رضي الله عنه يوم غزوة خَيْبر لَمَّا (بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا له، فَبَرَأَ حتى كَأَنْ لم يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ...)(١٢٤).

٢- ما جاء في يوم الحُدَيبِيَة في تكثير الماء الذي يكفي الألوف؛ كما في حديث الْبَرَاءِ رضي الله عنه قال: (كُنَّا يوم الحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا، حتى لم نَتْرُكْ فيها قَطْرَةً، فَجَلَسَ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النَّبِيُّ ﷺ على شَفِيرِ الْبِئْرِ، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَمَضْمَضَ، وَمَجَّ فِي الْبِئْرِ، فَمَكَثْنَا غير بَعِيدٍ، ثُمَّ اسْتَقَيْنَا، حتى رَوِينَا، وَرَوَتْ ـ أو صَدَرَتْ ـ رَكَائِبُنَا)(١٢٥).

٣- ومن مُباركة النبيِّ ﷺ عين زمزم بريقه الشريف: ما جاء عَنِ ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ أَنَّه قال: جاء النبيُّ ﷺ إلى زَمْزَمَ، فَنَزَعْنَا له دَلْواً، فَشَرِبَ، ثُمَّ مَجَّ فيها(١٢٦)، ثُمَّ أَفْرَغْنَاهَا في زَمْزَمَ، ثُمَّ قال: (لَوْلاَ أَنْ تُغْلَبُوا عليها، لَنَزَعْتُ بِيَدِي)(١٢٧).

٤- ما جاء عن عبد الْجَبَّارِ بن وَائِلٍ عن أبيه رضي الله عنه؛ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِدَلْوٍ من مَاءِ زَمْزَمَ، فَتَمَضْمَضَ، فَمَجَّ فيه أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ ـ أو قال: مِسْكٌ ـ واسْتَنْثَرَ خَارِجاً مِنَ الدَّلْوِ)(١٢٨).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطلب الخامس

عين زمزم لا تنضُبُ أبداً

من خصائص ماء زمزم ومميزاتها أنها عين لا تنضُب، ولا تنقطع أبداً، على كثرة استخدامها والاستقاء منها منذ ما يُقارب خمسة آلاف سنة.

من أسماء زمزم:

من أسماء بئر زمزم وأوصافها عند العرب: أنها لا تُنْزَفُ أبداً، ولا تُذَمُّ(١٢٩).

ومعنى: (لا تُنْزَفُ) أي: (لا يَفْنَى ماؤُها على كَثْرةِ الاسْتِقاءِ)(١٣٠).

وفي معنى: (لا تُذَمُّ) ثلاثة أقوال:

(أَحدُها: لا تُعابُ، من قولك: ذَمَمْتَه إذا عِبتَهُ.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والثاني: لا تُلفَى مَذْمُومَةً، يقال: أَذْمَمْتُه، إذا وَجَدْتَه مَذْموماً.

والثالث: لا يُوجد ماؤُها نَاقِصاً، من قولك: بِئْرٌ ذَمَّةٌ، إذا كانت قليلةَ الماءِ)(١٣١).

ورجَّح القولَ الثالث الأصمعيُّ، والسُّهيلي(١٣٢).

(قال أبو عبيد: قال الأصمعي: الذَّمَّةُ: القليلةُ الماءِ، يُقال: بِئرٌ ذمَّةٌ، وجَمْعُها ذِمامٌ)(١٣٣).

ولا ريب أنَّ المعنى الثالث هو المراد هنا في معنى: (لا تُذَمُّ)؛ لأن ماء زمزم لا يصْدُق عليها أنها لا تُعاب أو لا تُلْفَى مذمومةً؛ لأنها مذمومةٌ عند المنافقين.

وجاءت الرِّوايات تُؤَيِّد المعنى الثالث، ممَّا يدل على أنَّ المعنى الثالث هو المراد، ومن ذلك:

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما جاء في قصة نبع زمزم، قال ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال النبيُّ ﷺ: (يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لو تَرَكَتْ زَمْزَمَ ـ أو قال: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ من الْمَاءِ ـ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا)(١٣٤).

وفي رواية أُخرى، قال النبي ﷺ: (لَوْ تَرَكَتْهُ كان الْمَاءُ ظَاهِرًا)(١٣٥).

قال: فَشَرِبَتْ، وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فقال لها الْمَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ(١٣٦).

قال ابن حجر رحمه الله: (قوله: [لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ] بفتح المُعجمة وسكون التَّحتانية، أي: الهلاك. وفي حديث أبي جَهْم: [لاَ تَخَافِي أَنْ يَنْفَدَ المَاءُ] وفي روايةِ عليِّ بنِ الوازع عن أيوب عند الفاكهي: [لاَ تَخَافِي عَلَى أَهْلِ هَذا الوَادِي ظَمَأً؛ فَإِنَّهَا عَيْنٌ يَشْرَبُ بِهَا ضِيْفَانُ الله](١٣٧) زاد في حديثِ أبي جَهْمٍ: [فَقَالَتْ: بَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ])(١٣٨).

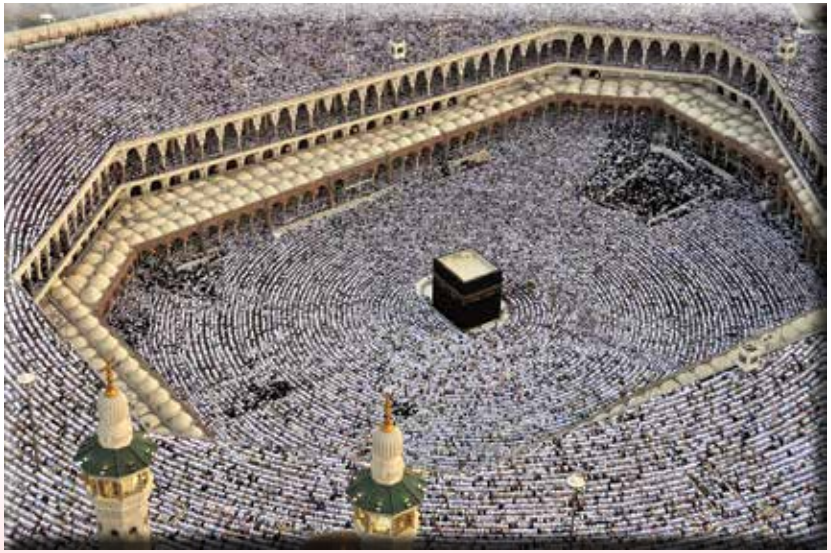

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شهادة التاريخ لماء زمزم:

(والبرهان الحِسِّي العظيم على أنه ماءٌ لا يفنى، الواقعُ الذي عليه ماء زمزم، فلم ينقطع منذ أن نَبَعَ لإسماعيل عليه السلام إلى يومنا هذا مع كثرة الاستقاء منه، ولا سيما في أيام رمضان والحج في هذا الزمن، إذ تُسحب منه كميات كبيرة جداً.

والناظر في بئر زمزم يجد أنَّ مستوى الماء فيها لا يتغيَّر، فهو على مستوى واحد، لا يقِلُّ ولا يكثر مهما أُخِذ منه، فلا ينبع بكثرة بحيث يسيل على وجه الأرض، فلم يُعْهَد ذلك، ولا يقِلُّ بحيث لا يبقى منه شيء)(١٣٩).

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المبحث العاشر

الكعبة مركز الأرض والكون

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اتجاه الكعبة نحو البيت المعمور.

المطلب الثاني: تَوَسُّط الكعبة للیابسة عند العلماء الأوائل.

المطلب الثالث: الكعبة مركز اليابسة للعالَمين القديم والجديد.

المطلب الرابع: أركان الكعبة تُشير إلى جهات عالميَّة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطلب الأول

اتجاه الكعبة نحو البيت المعمور

البيت المعمور: هو بيت في السماء السابعة، ويقال له: (الضُّرَاح)، ووجوده ثابت بنص القرآن والسُّنة؛ فقد أقسم الله تعالى به في كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾ الطور:٤].

وهو معمور (مدى الأوقات، بالملائكة الكرام عليهم السلام، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، يتعبدون فيه لربهم، ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة)(١٤٠).

الأدلة:

١- ما جاء عن مَالِكِ بن صَعْصَعَةَ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « فَرُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ »(١٤١).

٢- ما جاء عن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ »(١٤٢).

قال ابن كثير رحمه الله: (يعني: يتعبَّدون فيه، ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة، ولهذا وُجِدَ إبراهيم الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مُسْنِداً ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل)(١٤٣).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وذهب بعض أهل العلم إلى أنَّ المراد بالبيت المعمور الكعبة المشرفة؛ كما نقله الزمخشري رحمه الله: (وقيل: الكعبة؛ لكونها معمورة بالحُجَّاج والعُمَّار والمُجاورين)(١٤٤). والسعدي رحمه الله: (وقيل: إن البيت المعمور هو بيت الله الحرام، والمعمور بالطائفين، والمصلين، والذاكرين كل وقت، وبالوفود إليه بالحج والعمرة)(١٤٥).

وجَمَع الشوكاني رحمه الله بين القولين، فقال: (والبيت المعمور: في السماء السابعة، وقيل: في سماء الدنيا، وقيل: هو الكعبة، فعلى القولين الأوَّلين: يكون وصْفُه بالعمارة باعتبار مَنْ يدخل إليه من الملائكة ويعبد الله فيه، وعلى القول الثالث: يكون وصفه بالعمارة حقيقةً أو مجازاً باعتبار كثرة مَنْ يَتَعَبَّد فيه من بني آدم)(١٤٦). إذاً لا تعارض بين القولين؛ فهذا معمور في الأرض، وذلك معمور في السماء.

بحرٌ من الخَلْقِ لا يُحصى له عددُ
فيه من الأبحُرِ الأمواج والزَّبَدُ
يطوف بالبيت سَيْلٌ لا نفادَ له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إذا مضى مَدَدٌ منه أتى مددُ
تَسْري ضَراعتُه في الأُفْق لاهبةً
فكلُّ شيءٍ به نَشْوانُ يرتَعِدُ
تكاد في غمرها الأجسادُ من لَهَفٍ
يُحيلها الشوقُ أنواراً فتَتَّقِدُ(١٤٧)

البيت المعمور فوق الكعبة:

هناك روايات تُثبت أن البيت المعمور فوق الكعبة، وأنها باتجاهه، ومما جاء في ذلك:

٣- ما جاء عن خالد بن عرعرة؛ (أنَّ رجلاً قال لعليٍّ رضي الله عنه: ما البيتُ المعمور؟ قال: بيتٌ في السماء يقال له: الضُّرَاح، **وهو بحيال الكعبة من فوقها**، حُرْمَتُه في السَّماء كحُرْمَةِ البيت في الأرض، يُصَلِّي فيه كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون فيه أبداً)(١٤٨).

٤- ما جاء عن قتادة رحمه الله: (ذُكِرَ لنا: أنَّ نبي الله ﷺ قال يوماً لأصحابه:

شبكة الألوكة
www.alukah.net

«هل تدرون ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنَّه مسجد في السَّماء، تحته الكعبة، لو خَرَّ لَخَرَّ عليها»...)(١٤٩).

ما جاء عن العلماء في ذلك:

صرَّح كثير من أهل العلم بأن البيت المعمور فوق الكعبة، وممن صرَّح بذلك:

١- الطبري رحمه الله بقوله: (وهو بيت فيما ذُكِرَ في السماء بحيال الكعبة من الأرض)(١٥٠).

٢- البغوي رحمه الله حيث قال: (وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة، يقال له: الضُّرَاح، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض)(١٥١).

٣- ابن كثير رحمه الله حيث قال ـ عن البيت المعمور: (وهو بحيال الكعبة)(١٥٢).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عبادةُ اللهِ حَبْلٌ موصول بين البَيتَين:

ومواجهة الكعبة للبيت المعمور في السماء فيها من التَّشريف والتكريم لها وللبقعة الموجودة فيها الكثير؛ فكأنَّ هناك حبلاً موصولاً بين السماء والأرض يَصِلُ بينهما من خلال هذين البيتين، يجمع بينهما شيءٌ واحدٌ، هو عبادة الله تعالى وحده.

كما أنَّ الشَّبه بين البيت المعمور الذي تحجُّه الملائكة، وبين البيت الحرام الذي يحجُّه البشر فيه دليل واضح وإشارة ظاهرة إلى وحدة الدِّين، ووحدة مصدره، ووحدة أصله، وفيه تشريف وتكريم للبشرية الذين وحدوا الله وآمنوا برسله، حينما شُبِّهوا بالملائكة الكرام، فشاركوهم في نسك معين وعبادة معينة، وهي حج البيت: البيت المعمور في السماء، والبيت الحرام في الأرض.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

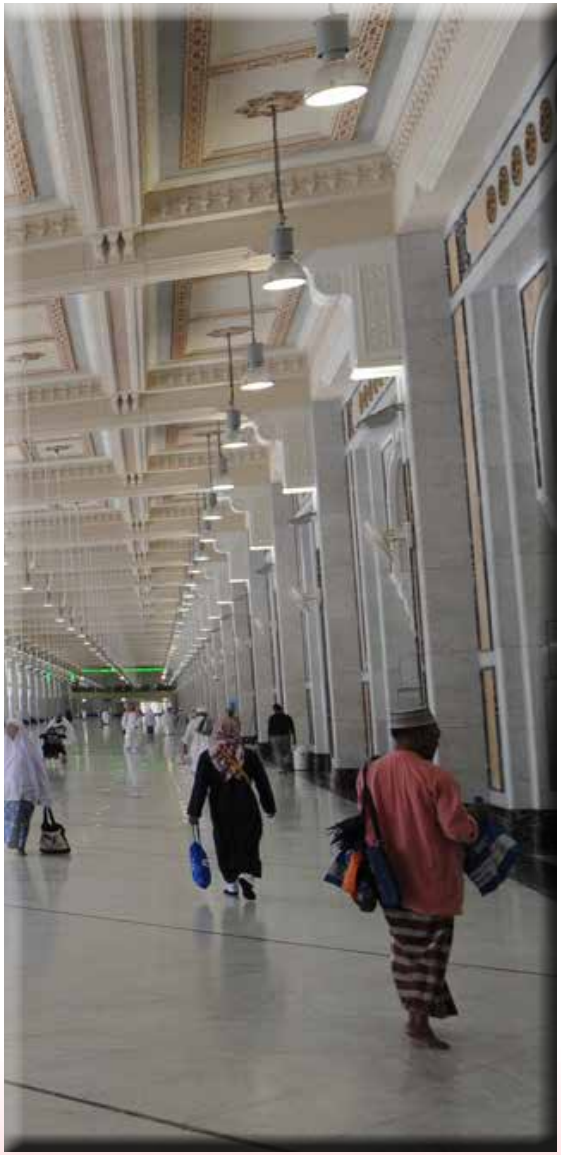

المطلب الثاني

تَوَسُّط الكعبة لليابسة عند العلماء الأوائل

اكتشف علماء المسلمين الأوائل أنَّ الكعبةَ والبلدَ الحرام مركزُ الأرض، ووسطُ الدنيا، وممَّا جاء في ذلك عن علماء اللغة والتفسير ما يلي:

١- ذَكَرَ ابن عطية الأندلسي رحمه الله (ت٥٤٦هـ) سبب تسمية أُمِّ القرى بهذا الاسم فقال: (سُمِّيت بذلك لوجوه أربعة: منها: أنها منشأ الدِّين والشَّرع، ومنها: ما روي أن الأرض منها دُحيت، ومنها: أنها وسط الأرض وكالنُّقطة للقُرى، ومنها: ما لحق عن الشرع من أنها قِبْلَةُ كلِّ قرية، فهي لهذا كلِّه أمٌّ، وسائر القرى بنات)(١٥٣).

٢- وقال ياقوت الحموي رحمه الله (ت٦٢٦هـ):

شبكة الألوكة
www.alukah.net

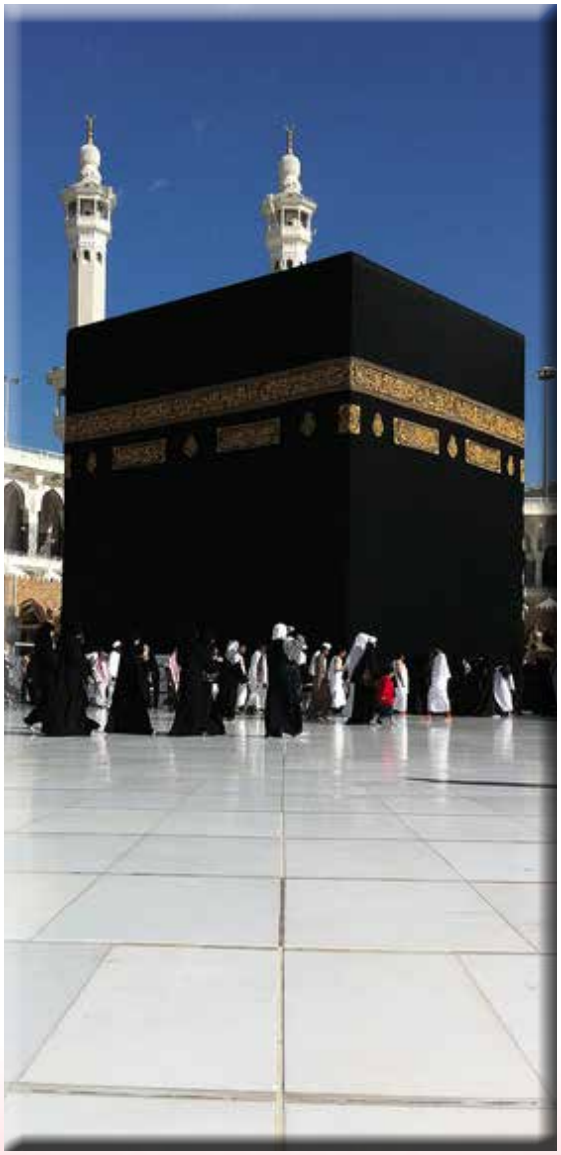

(جاء في الأخبار: أنَّ أوَّل ما خَلَقَ الله في الأرض مكانَ الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها، فهي سُرَّة الأرض، ووسط الدنيا، وأمُّ القرى، أوَّلها الكعبة، وبكَّة حول مكة، وحول مكةَ الحرم، وحول الحرمِ الدنيا)(١٥٤).

٣- وقال القرطبي رحمه الله (ت٦٧١هـ) ـ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]: (المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم أُمَّةً وسطاً، أي: جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، والوسط: العدل، وأصل هذا أنَّ أحمدَ الأشياء أوسطُها)(١٥٥).

٤- وقال النسفي رحمه الله (ت٧١٠هـ): (وسميت أمُّ القرى؛ لأنها سُرَّة الأرض، وقِبْلَة أهلِ القرى، وأعظَمُها شأناً، ولأنَّ الناس يؤمُّونها)(١٥٦).

٥- وقال أبو حيان الأندلسي رحمه الله (٧٤٥هـ):

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(وسُمِّيت بذلك؛ لأنها منشأ الدِّين، ودحو الأرض منها، ولأنها وسط الأرض، ولكونها قبلة، وموضع الحج، ومكان أول بيت وُضِع للناس)(١٥٧).

٦- وقال ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ): (ثم أخبر أنه كما جعلهم أُمَّة وسطاً خياراً، اختار لهم أوسطَ جهات الاستقبال وخيرَها، كما اختار لهم خير الأنبياء، وشَرَع لهم خير الأديان، وأنزل عليهم خير الكتب، وجعلهم شهداء على الناس كلِّهم؛ لكمال فضلهم وعلمهم وعدالتهم، وظهرت حكمته في أن اختار لهم أفضلَ قِبْلَةً وأشرفَها؛ لتتكامل جهات الفضل في حقهم بالقِبْلَةِ والرسولِ والكتابِ والشريعة)(١٥٨).

وقال في موضِع آخَر: (وأخبر أنَّ الذي يهدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم هو الذي هداهم إلى هذه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

القِبْلة، وأنها هي القبلة التي تليق بهم، وهم أهلُها؛ لأنها أوسط القِبل وأفضلها، وهم أوسط الأمم وخيارهم، فاختار أفضل القِبل لأفضل الأمم، كما اختار لهم أفضل الرسل، وأفضل الكتب، وأخرجهم في خير القرون، وخَصَّهم بأفضل الشرائع، ومَنَحَهم خير الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض)(١٥٩).

٧- وقال الزبيدي رحمه الله (١٢٠٥ هـ): (وقيل: إِنَّ مكَّة مأخوذة من المُكاكَةِ، وهي اللُّبُّ والمُخُّ الذي في وَسَطِ العَظْمِ، سمِّيَتْ بها؛ لأَنَّها وَسَطُ الدُّنْيا ولُبُّها وخالِصُها)(١٦٠).

٨- وبيَّن في موضع آخر سببَ تسمية مكة بأم القرى:(وأُمُّ القُرَى: مَكَّةُ، زِيدَت شَرَفًا؛ لأَنَّها تَوَسَّطَت الأَرْضَ فيما زَعَمُوا)(١٦١).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخلاصة:

اتضح لنا من خلال ما ذكره العلماء الأوائل: أن الكعبة والبلد الحرام يتوسَّطان الأرض، إمَّا من المعنى اللغوي لاسم مكة، أو الوصف القرآني لها؛ بأنها أم القرى، أو من خلال فهم وتفسير ما ورد في بعض الآيات.

وسطية الكعبة لها بُعْدٌ رُوحيٌّ ومادي:

وهكذا رَبَطَ العلماء الأوائل بين وسطية الأُمَّة وعدالتها وشرفها وبين وسطية المكان، فاتَّخذت الوسطية بُعدين؛ بُعداً روحيًّا معنويًّا، يتمثَّل في تفضيل الأمة المسلمة على غيرها من الأمم، وفي شرفها ومكانتها السامية التي اختارها الله تعالى لها، وبُعداً ماديًّا، ويتمثل في وسطية المكان؛ لتتمكن الأمة من أداء رسالتها من خلال هذا المكان، ولِتَشِعَّ بنورها في أرجاء الدنيا على وجهٍ متوازنٍ ومتساوٍ، يُمَكِّنها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من ذلك وجودُها في وسط العالم ومركزه.

وكان اختيار العلماء الأوائل لهذا الرأي الذي يجمع بين وسطية المكانة ووسطية المكان من توفيق الله تعالى لهم وعونه إياهم، ثم جاء العلم الحديث مُؤيداً ومُؤكِّداً ما ذهبوا إليه.

المطلب الثالث

الكعبة مركز اليابسة للعالَمين القديم والجديد

أثبتت الدراسات العلمية المعاصرة أن الكعبة والبلد الحرام يقعان في مركز اليابسة للعالَمين القديم: (آسيا وأفريقيا وأوروبا) والجديد: (الأمريكتين وأستراليا والقارة الجنوبية المتجمدة) أي: أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية مُوَزَّعة حول مكة المكرمة توزيعاً مُنتظماً، ويتبين ذلك فيما يلي:

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أولاً: توسط الكعبة ليابسة العالَم القديم:

تم اختيار تِسْع مدنٍ وجُزُر لتكون هي حدود العالَم القديم، وتم تحديد موقعها وبُعدها عن مكة المكرمة، وقد وُجِدَ أن المسافة القوسية (The arch distance) بين هذه المدن والجزر وبين مكة المكرمة تقريباً (٨٠٣٩ كم) في المتوسط، مما يعني: أن مكة المكرمة تقع في مركز دائرة يمر محيطها بالقارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوروبا) التي كانت تُمثِّل العالَم القديم قبل اكتشاف الأمريكتين.

ثانيًا: توسط الكعبة ليابسة العالَم الجديد:

تم حساب المسافة بين مكة المكرمة والمدن الآتية:

١- مدينة ويلنجتون والتي تقع في نيوزيلندا بشرق قارة أستراليا: فَوُجِد أنَّ المسافة بينها وبين مكة المكرمة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١٣٠٤٠) كم.

٢- مدينة كورن هورن أبعد نقطة في أمريكا الجنوبية: فَوُجِد أنَّ المسافة بينها وبين مكة المكرمة (١٣١٢٠) كم.

٣- شمال مدينة ألاسكا أبعد نقطة في شمال أمريكا: فَوُجِد أن المسافة بينها وبين مكة المكرمة (١٣٦٠٠) كم.

وعلى ذلك: فإن المسافة المتوسطة بين أبعد نقاط العالَم الجديد وبين مكة المكرمة هي تقريباً (١٣٢٥٣) كم، مما يعنى أيضاً: أن مكة المكرمة تقع في مركز دائرة تمر بحدود قارات العالَم الجديد، وهذه الدائرة تمرُّ أيضاً بالحدود الشرقية، والحدود الغربية للقطب الجنوبي(١٦٢).

حِكَمٌ عظيمة في اختيار مَوضِع الكعبة:

إنَّ هذا الكون الفسيحَ وما فيه من موجوداتٍ وظواهرَ تأخذ باللُّب وتَحارُ فيها العقول، ليس وليدَ صُدفةٍ،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا صنْعَةَ طبيعةٍ، وإنما هو صِنْعَةُ الخالق سبحانه؛ الذي خلقَ كلَّ شيء فقدَّره تقديرًا مُحكمًا، حسب نظام دقيق، لا خلل فيه ولا اختلال، ولِحِكَم لا يحصيها إلاَّ الله سبحانه وتعالى، وقد يُطْلِعُ بعضَ خَلْقِه على بعض هذه الحِكَم؛ ليتعرَّفَ الخلقُ عظمة الخالق وإعجازه.

ومن هذه الأمور التي تبين لنا عظمة الخالق، اختيار موقع مكة المكرمة لتكون فيها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين، فهو اختيار إلهي، فيه حكمة كبرى، لم تكن لِتُعْرَف إلاَّ بعد ظهور الحقائق والاكتشافات العلمية الحديثة؛ فالمسلمون حينما يتَّجهون في صلاتهم إلى الكعبة فهم يتَّجهون إلى موقع يُعتبر مركزَ اليابسة، فتجد أبصارهم وأفئدتهم وكأنهم ينظرون إلى بعضٍ، ولا يتحقق ذلك إلاَّ بالنظر إلى المركز الذي تحيط به الدائرة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما تتَّضح حِكْمَةُ الخالق سبحانه من كون الكعبة والبلد الحرام مركز العالم؛ ليسهل بذلك الوصول إليها من أيِّ بقعة في بقاع الأرض، فموقعها المتوسِّط بالنسبة لكافَّة القارات سهَّل الوصول إليها برًّا أو جوًّا أو بحراً، مما يدفع شيئاً من المشقة والكُلفة في السفر إليها، خاصة وأنَّ هناك فريضةً عظيمة مرتبطة بهذا المكان، ألا وهي الحج والعمرة، ولك أنْ تتخيَّل حجم المشقة والكُلفة إذا كانت الكعبة في أحد أطراف الأرض، فكم من المشاقِّ التي يتكبَّدها مَنْ أراد السفر إليها من الطرف الآخر؛ كما أن هناك حِكْمَةً أخرى، وهي العدالة في التوزيع الجغرافي للمتماثلين؛ ففي أيِّ نقطة حول الكعبة تقابلها نقطة أخرى على نفس المسافة، نجد عدالة في التساوي في المشقة التي يتحمَّلها مَنْ يسكنون هاتين النقطتين للوصول إلى الكعبة المشرفة.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خط طول مكة أَولَى من خط طول جرينتش:

إنَّ موقع مكة المكرمة الفريد من نوعه أدى إلى أن يُطالِب أحد الباحثين الغربيين، واسمه «أرنولد كيسرلنج» Arnold Keysrling، إلى أن يكون خط طول مكة المكرمة (٣٩ درجة) و(٤٩ دقيقة) شرقاً هو خط الطول الأساسي، بدلاً من خط طول جرينتش بانجلترا، والذي تمَّ فرضُه على العالم سنة (١٨٨٢م) دون أيِّ سبب علميٍّ أو منطقي واضح، والسبب الرئيس في ذلك: أن الإمبراطورية البريطانية كانت أكبرَ قوة موجودة في العالم آنذاك(١٦٣).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المطلب الرابع

أركان الكعبة تُشير إلى جهات عالمية

أجريت دراسات حديثة لمعرفة إلى أيِّ الجهات من اليابسة المعمورة، تشير أركان الكعبة المشرفة الأصلية، وجاءت نتائج هذه الدراسات كما يلي:

١- **الركن المعروف باسم (الركن العراقي)** يشير بالفعل إلى غرب العراق، وآخِر جهات اليابسة التي يشير إليها هذا الركن هي المنطقة المعروفة باسم «سهل أوروبا الشرقي»، وهي منطقة تقع على الحدود مابين قارتي آسيا وأوروبا، وهذا يعني: أن هذا الركن يشير إلى قارة أوروبا.

٢- **الركن المعروف باسم (الركن الشامي)**، لا يشير من قريب أو بعيد إلى بلاد الشام، ولكن يشير إلى الساحل الغربي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

للولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما يعني: أن هذا الركن يشير إلى أمريكا.

٣- **الركن المعروف باسم (الركن اليماني)**، لا يشير من قريب أو بعيد إلى بلاد اليمن، ولكن يشير إلى الساحل الشرقي من أفريقيا، وتحديداً إلى الساحل الشرقي لدولة «موزمبيق»، في موقع استراتيجي يتوسط قارتي أستراليا وأمريكا الجنوبية، وهو ما يعني: أن هذا الركن يشير إلى قارة أفريقيا.

٤- **الركن الموجود به (الحَجَر الأسود)** يشير إلى جزر إيريان الغربية (التابعة لقارة آسيا)، وهي تقع ما بين قارتي أستراليا وآسيا، أي: أن هذا الركن يشير إلى قارة آسيا.

والنتائج السابقة تُوَضِّح أن أركان الكعبة تُشير إلى مواقع استراتيجية من اليابسة المعمورة، وأن كل موقع من هذه المواقع يقع بين قارتين من القارات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الست المعمورة، وأن التَّسميات الواقعية للكعبة المشرفة هي: الركن الأوروبي، والركن الأمريكي، والركن الأفريقي، والركن الآسيوي، وهو ما يوضح عالمية الكعبة المشرفة، وأنها قد وُضِعَت لكلِّ الناس بالفعل في مركز اليابسة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَلَمِينَ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران:٩٦].

المسميات العالمية لأركان الكعبة:

وبناءً ذلك: فإن المسميات العالمية لأركان الكعبة المشرفة تكون كما يلي:

* الركن الأوروبي (حالياً العراقي).
* الركن الأمريكي (حالياً الشامي).
* الركن الأفريقي (حالياً اليماني).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

* الركن الآسيوي (الموجود به الحجر الأسود)(١٦٤).

الخلاصة:

يُعتبر موقع الكعبة المشرفة موقعًا فريدًا من نوعه، فقد أثبتت الدراساتُ العلمية الحديثة: توسُّطَ مكةَ المكرمة للبابسة، بالنسبة لكلٍّ من العالَمين القديم (آسيا، وأفريقيا، وأوروبا) والجديد: (الأمريكتين، وأستراليا، والقارة الجنوبية المتجمدة)، ممَّا يؤكد على أنَّ لمكة المكرمة موقعاً فريداً ومتميزاً لا ينافسها في ذلك أيُّ موقع أو مدينة أخرى، من هنا وُصِفَت في القرآن الكريم بأنها أمُّ القرى.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحواشي

(١) انظر: تفسير الطبري، (٥/ ٥٩٢)؛ تفسير البغوي، (٢/ ٧١)؛ تفسير ابن كثير، (١/ ٣٨٤). تفسير الرازي، (٨/ ١٢٦)؛ التحرير والتنوير، (٣/ ١٦٠).

(٢) انظر: بيت الله الحرام الكعبة، (ص٧٧).

(٣) انظر: المصدر نفسه، (ص٧٦).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في (تفسيره)، (٣/ ٧٠٧)، (رقم٣٨٢٧). وصحح إسناده ابن حجر في (فتح الباري)، (٦/ ٤٠٨)؛ وحسَّنه أحمد شاكر في (عمدة التفسير)، (٣/ ٨).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في (مصنفه)، (٧/ ٢٥٢)، (رقم٣٥٧٩٩)؛ وابن أبي حاتم في (تفسيره)، (٣/ ٧٠٨)، (رقم٣٨٢٩)؛ والحاكم في (المستدرك)، (٢/ ٣٢١)، (رقم٣١٥٤) وقال: (صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي. ورواه البيهقي في (دلائل النبوة)، (٢/ ٥٥).

(٦) تفسير ابن كثير،(١/ ٣٨٤).

(٧) التفسير الكبير، (٨/ ٤٢٧).

(٨) التحرير والتنوير، (٣/ ١٦٠).

(٩) رواه البخاري، (٣/ ١٢٣١)، (ح٣١٦٨)؛ ومسلم، (١/ ٣٧٠)، (ح٥٢٠).

(١٠) التحرير والتنوير، (٣/ ١٦١).

(١١) زاد المعاد، (١/ ٤٩، ٥٠).

(١٢) **المراد به**: ما جاء عن أبي ذَرٍّ ﷺ مرفوعاً في الحديث السابق.

(١٣) فتح الباري، (٦/ ٤٠٨).

(١٤) التحرير والتنوير،(٢/ ٣٢).

(١٥) انظر: تفسير السعدي، (ص٦٥).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١٦) انظر: التفسير الكبير، (١/ ٥٩٨).

(١٧) تفسير البغوي، (١/ ١١٤).

(١٨) أضواء البيان، (٤/ ٤٥٦).

(١٩) التفسير الكبير، (١/ ٥٩٨).

(٢٠) التحرير والتنوير، (١/ ١١٤).

(٢١) رواه البخاري، (٤/ ١٥٨)، (ح١٦٢٢).

(٢٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٧/ ٢٤١).

(٢٣) تفسير السعدي، (ص٦٥).

(٢٤) المصدر نفسه، (ص١٤٠).

(٢٥) تفسير الرازي، (٣٢/ ١٠١).

(٢٦) انظر: تفسير السعدي، (ص٩٣٥).

(٢٧) التحرير والتنوير، (٣٠/ ٥٦٠).

(٢٨) تفسير الماوردي، (٦/ ٣٤٨).

(٢٩) تفسير الخازن، (٥/ ١٩١).

(٣٠) أحمد شوقي الأعمال النثرية، المجلس الأعلى للثقافة مصر، (٢٠٠٧م)، (ص٧٣١ـ٧٣٣).

(٣١) انظر: تفسير الطبري، (١٣/ ٢٣٢).

(٣٢) رواه البخاري، (١/ ١٥٧)، (ح٣٩٣).

(٣٣) رواه البخاري، (٢/ ٥٨٨)، (ح١٥٤٧).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٣٤) انظر: التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري (١/ ٢٨١).

(٣٥) انظر: الكشاف، (١/ ٤١٥).

(٣٦) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣٧) زاد المسير، لابن الجوزي (١/ ٤٢٧).

(٣٨) مقام إبراهيم، محمد طاهر الكردي المكي (ص١٠٧).

(٣٩) المناسك، لابن أبي عروبة (ص٣٥).

(٤٠) أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٥٧).

(٤١) التفسير الكبير، (٤/ ٥٧).

(٤٢) أحكام القرآن، للشافعي (١/ ١١٩).

(٤٣) **أفناء القبائل**: أخلاطهم من هنا وهناك. **تَخُبُّ**: تُسرع. **اليَعْمَلات**: النِّياق السَّريعة.

(٤٤) تفسير الطبري، (١/ ٥٣٢).

(٤٥) تفسير القرطبي، (٢/ ١١٠).

(٤٦) تفسير الطبري، (١/ ٥٣٢).

(٤٧) تفسير ابن كثير، (١/ ١٦٩).

(٤٨) أحكام القرآن، (١/ ٥٧).

(٤٩) تفسير الماوردي، (١/ ٨٩).

(٥٠) التفسير الكبير، (٤/ ٥٧).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٥١) **هَيُولَى**: الهَيُولَى: بضم الياء مخفَّفة أو مشدَّدة كلمةٌ مُعَرَّبة، وهي مادة الشيء التي يُصْنَع منها؛ كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار، والقطن للملابس القطنية. وعند القدماء: هي مادة ليس لها شكل، ولا صورة معيَّنة، قابلة للتشكيل والتصوير. انظر: المعجم الوسيط، جماعة من الباحثين (ص١٠٠٤).

(٥٢) زاد المعاد، (١/ ٥١).

(٥٣) **(الرِّحَالُ)**: جمع رَحْلٍ، وهو للبعير كالسَّرج للفرس، وكنَّى بشدِّ الرحال عن السفر؛ لأنه لازِمُه، وخرج ذِكْرُها مخرج الغالب في ركوب المسافر، وإلاَّ فلا فرق بين ركوب الرَّواحل والخيل والبغال والحمير، والمشي في المعنى المذكور، ويدل عليه قوله في بعض الطرق التي رواها مسلم: **(إِنَّمَا يُسَافَرُ)**. انظر: فتح الباري، (٣/ ٦٤).

(٥٤) **(مَسْجِدِ الأَقْصَى)**: سُمِّيَ الأقصى؛ لبعده من المسجد الحرام. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (٩/ ١٦٨).

(٥٥) رواه البخاري، (٢/ ٧٠٣)، (ح١٨٩٣)؛ ومسلم، (٢/ ١٠١٤)، (ح١٣٩٧).

(٥٦) **مَسْجِدِ إِيلِيَاءَ**: هو بيت المقدس، وفيه ثلاث لغات، أفصحهنَّ وأشهرهنَّ هذه الواقعة هنا(إِيلِيَاءَ) بكسر الهمزة واللام وبالمد. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (٩/ ١٦٨).

(٥٧) رواه مسلم، (٢/ ١٠١٥)، (ح١٣٩٧).

(٥٨) **(لَا تُعْمَلُ)**: أي: لا تُحثُّ وتُساق. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/ ٣٠١).

(٥٩) **(المَطِيُّ)**: جمع مطية، وهي الناقة التي يُركب مطاها، أي: ظهرها. انظر: المصدر نفسه، (٤/ ٣٤٠).

(٦٠) رواه مالك في (الموطأ)، (١/ ١٠٩)، (ح٢٤١)؛ وأحمد في (المسند)، (٦/ ٧)، (ح٢٣٨٩٩)؛ والبخاري في (التاريخ الكبير)، (٣/ ١٢٣)، (ح٤١٤)؛ والفاكهي في (أخبار مكة)، (٢/ ٩٨)، (ح١٢٠٣)؛ والنسائي، (٣/ ١١٤)، (ح١٤٣٠)؛ وابن حبان في (صحيحه)، (٧/ ٧)، (ح٢٧٧٢)؛ والبيهقي في (شعب الإيمان)، (٣/ ٩٢)، (ح٢٩٧٥). وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي)، (١/ ٤٦١)، (ح١٤٢٩).

(٦١) رواه الليث بن سعد في (عواليه)، (ص٨٦)، (ح٣٥)؛ وأحمد في (المسند)، (٣/ ٣٥٠)، (ح١٤٨٢٤)؛ وعبد بن حميد في (مسنده)، (١/ ٣٢٠)، (ح١٠٤٩)؛ والنسائي في (الكبرى)، (٦/ ٤١١)، (ح١١٣٤٧)؛ وأبو يعلى في (مسنده)،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٤/ ١٨٢)، (ح٢٢٦٦)؛ وابن حبان في (صحيحه)، (٤/ ٤٩٥)، (ح١٦١٦)؛ والطبراني في (الأوسط)، (١/ ٢٢٥)، (ح٧٤٠). وصححه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، (٢/ ٣٩٢)، (ح١٦٤٨) وذَكَرَ طريقَ الليث، وقال: (فالإسناد صحيح على شرط مسلم).

(٦٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني (٧/ ٢٥٣).

(٦٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٣/ ١٠١٥)؛ الاستذكار، لابن عبد البر (٢/ ٤١).

(٦٤) حجة الله البالغة، شاه ولي الله الدهلوي (ص٤٠٨).

(٦٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٣/ ٦٦).

(٦٦) انظر: شرح معاني الآثار، (٣/ ١٢٥)؛ شرح فتح القدير، (٣/ ١٢٨)؛ بداية المجتهد، (١/ ٣١٢)؛ المغني، (٣/ ٨٣).

(٦٧) انظر: شرح فتح القدير، (٣/ ١٢٨)؛ بداية المجتهد، (١/ ٣١٢)؛ المغني، (٣/ ٨٣).

(٦٨) انظر: شرح معاني الآثار، (٣/ ١٢٥)؛ شرح فتح القدير، (٣/ ١٢٨)؛ بداية المجتهد، (١/ ٣١٢)؛ المغني، (٣/ ٨٣)؛ شرح النووي على صحيح مسلم، (٩/ ١٦٨)؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٣/ ٦٤).

(٦٩) رواه البخاري، (٦/ ٢٤٦٤)، (٦٣١٩).

(٧٠) رواه أبو داود، (٣/ ٢٣٦)، (ح٣٣٠٥)؛ وأبو يعلى في (مسنده)، (٤/ ٨٨)، (ح٢١١٦)؛ والحاكم في (المستدرك)، (٤/ ٣٣٨)، (ح٧٨٣٩) وقال: (صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه). وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود)، (٢/ ٣٢٦)، (ح٣٣٠٥).

(٧١) (**اشْتَكَتْ شَكْوَى**): أي: مرضت مرضاً.

(٧٢) رواه مسلم، (٢/ ١٠١٤)، (ح٥١٠).

(٧٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، (٣/ ١٧٩).

(٧٤) قال أهل اللغة: أصل القبلة الجهة، وسميت الكعبة قبلة؛ لأن المصلي يقابلها وتقابله. [انظر: المجموع، (٣/ ١٩١)].

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٧٥) انظر: تفسير ابن كثير، (١/ ١٥٨)؛ فتح الباري، (١/ ٥٠٢).

(٧٦) انظر: فتح الباري، (١/ ٥٠٢).

(٧٧) رواه أحمد في (المسند)، (١/ ٣٢٥)، (ح٢٩٩٣)؛ والطبراني في (الكبير)، (١١/ ٦٧)، (١١٠٦٦)؛ والبيهقي في (الكبرى)، (٢/ ٣)، (٢٠٢٥). وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد)، (٢/ ١٢): (رجاله رجال الصحيح). وقال محققو المسند، (٥/ ١٣٦)، (ح٢٩٩١): (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

(٧٨) رواه البخاري، (١/ ١٥٥)، (ح٣٩٠).

(٧٩) انظر: المجموع، (٣/ ١٩٠).

(٨٠) انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض (٢/ ٢٥٠).

(٨١) فتح الباري، (١/ ٩٦ـ٩٧).

(٨٢) انظر: تفسير الطبري، (٢/ ٢٣٠)؛ الكشاف، (١/ ٢٢٣)؛ تفسير ابن كثير، (١/ ١٩٠).

(٨٣) التفسير الكبير، (٤/ ٨٧).

(٨٤) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (١/ ١٢٦).

(٨٥) مفتاح دار السعادة، (٢/ ٣٠).

(٨٦) انظر: الناسخ والمنسوخ، للقاسم بن سلام (ص٢٠)؛ تفسير الطبري، (١/ ٥٠٢).

(٨٧) تفسير القرطبي، (٢/ ١٥١).

(٨٨) انظر: تفسير ابن كثير، (١/ ١٩٦).

(٨٩) انظر: تفسير القرطبي، (٢/ ١٦٨).

(٩٠) التفسير الكبير، (٤/ ١٢٤ـ١٢٦).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٩١) رواه البخاري، (٦/ ٢٦٤٨)، (٦٨٢٥).

(٩٢) نيل الأوطار، (٢/ ١٧٧).

(٩٣) انظر: لسان العرب، (٩/ ٢٢٥)؛ معجم لغة الفقهاء، د. محمد رواس قلعه جي (ص٢٩٣).

(٩٤) فتح الباري، (٣/ ٤٧٠).

(٩٥) انظر: الطواف وأهم أحكامه، د. شرف بن علي الشريف، مجلة البحوث الإسلامية بالرياض، (عدد:٤٤)، (ص١٧٨).

(٩٦) رواه البزار في (مسنده)، (١٢/ ٣٠٨)،(ح٦١٥٧)؛ وابن خزيمة في (صحيحه)، (٤/ ١٢٨)، (ح٢٥٠٦)؛ وابن حبان في (صحيحه)، (١٥/ ١٥٣)، (ح٦٧٥٣)؛ والحاكم في (المستدرك)، (١/ ٦٠٨)، (ح١٦١٠) وقال: (صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد)، (٣/ ٢٠٦): (رجاله ثقات). وصححه الألباني في (صحيح موارد الظمآن)، (١/ ٤١٠)، (ح٨٠٤).

(٩٧) انظر: قوانين الأحكام الشرعية، لابن جزي (ص١٥٠)؛ المبسوط، (٤/ ٣٤)؛ المجموع،(٨/ ١٢/ ٢٢٠)؛ المغني والشرح الكبير، (٣/ ٤٦٩).

(٩٨) **الإفاضة**: سمي بذلك؛ لرجوع الحاج من عرفات.

(٩٩) **الصدر**: سمي بذلك؛ لأنه مرجع المسافر من مقصده. انظر: لسان العرب، (٤/ ٤٤٨).

(١٠٠) انظر: الطواف وأهم أحكامه، (ص١٨٨).

(١٠١) رواه البخاري، (٣/ ١٢٢٧)، (ح٣١٨٤).

(١٠٢) رواه البخاري، (٣/ ١٢٢٧)، (ح٣١٨٤).

(١٠٣) رواه البخاري، (٣/ ١٢٣٠)، (ح٣١٨٥).

(١٠٤) انظر: النهاية، (٢/ ٢٥٩)؛ لسان العرب، (٧/ ١٦٠).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١٠٥) انظر: معجم ما استعجم، (٢/ ٧٠١)؛ النهاية، (٥/ ٢٦٢)؛ تاج العروس، (٣٤/ ٩٧).

(١٠٦) انظر: أخبار مكة، للفاكهي (٢/ ١٠).

(١٠٧) انظر: لسان العرب، (١٢/ ٦٠٨).

(١٠٨) انظر: الروض الأنف، لابن هشام (١/ ٢١٣).

(١٠٩) الروض الأنف، (١/ ٢٥٧). وانظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي (١/ ١٨٧).

(١١٠) انظر: أخبار مكة، للفاكهي (٢/ ٩).

(١١١) فضل ماء زمزم، د. سائد بكداش (ص٩٠).

(١١٢) (**الحَجُون**): موضع بمكة.

(١١٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي (ص٥٥٩). وانظر: تهذيب اللغة، (٤/ ٩٢).

(١١٤) انظر: تفسير القرطبي، (٤/ ١٣٩).

(١١٥) انظر: فتح الباري، (١/ ٤٦٠)؛ (١٣/ ٤٨١).

(١١٦) (**لَأَمَهُ**): على وزن ضَربَه، ومعناه: جَمعَه وضَمَّ بعضَه إلى بعض. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/ ٢١٦).

(١١٧) (**ظِئْرَهُ**): هي المرضعة، ويقال أيضاً لزوج المرضعة: ظئر. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، (٢/ ٢١٧).

(١١٨) (**مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ**): أي: مُتَغَيِّر اللون.

(١١٩) (**المِخْيَط**): هي الإبرة.

(١٢٠) رواه مسلم، (١/ ١٤٧)، (ح١٦٢).

(١٢١) رواه البخاري، (١/ ١٣٥)، (ح٣٤٢).

(١٢٢) فتح الباري، (٧/ ٢٠٥)،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١٢٣) انظر: فضل ماء زمزم، (ص٩٩).

(١٢٤) رواه البخاري، (٣/ ١٣٥٧)، (ح٣٤٩٨).

(١٢٥) رواه البخاري، (٣/ ١٣١١)، (ح٣٣٨٤).

(١٢٦) (**ثُمَّ مَجَّ فيها**): أي: رمى بما بَقِي في فِيهِ الشريف من الماء.

(١٢٧) رواه أحمد في (المسند)، (١/ ٣٧٢)، (ح٣٥٢٧)؛ والفاكهي في (أخبار مكة)، (٢/ ٥٥)، (ح١١٣٩)؛ والطبراني في (الكبير)، (١١/ ٩٧)، (ح١١١٦٥). وقال ابن كثير في (البداية والنهاية)، (٥/ ١٩٣): (إسناده على شرط مسلم)، وصححه أحمد شاكر في (شرح المسند)، (٥/ ١٧٧)، وصححه محققو المسند، (٥/ ٤٦٧)، (ح٣٥٢٧) وقالوا: (رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير حماد فمن رجال مسلم).

(١٢٨) رواه أحمد في (المسند)، (٤/ ٣١٨)، (ح١٨٨٩٤)؛ والأزرقي في (أخبار مكة)، (٢/ ٥٧)؛ والفاكهي في (أخبار مكة)، (٢/ ٥٤)، (رقم١١٣٦)؛ وابن ماجه، (١/ ٢١٦)، (ح٦٥٩)؛ والطبراني في (الكبير)، (٢٢/ ٥١)، (ح١٢٠). وحسنه محققو المسند، (٣١/ ١٦٧)، (ح١٨٨٧٤)، و(٣١/ ١٤٤)، (ح١٨٨٥١)، و(٣١/ ١٣٤)، (ح١٨٨٣٨).

(١٢٩) انظر: سيرة ابن إسحاق، (١/ ٤)؛ مصنف عبد الرزاق، (٥/ ١١٥)، (رقم٩١١٧)؛ السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٢٧٧)؛ أخبار مكة، للأزرقي (٢/ ٤٤)؛ أخبار مكة، للفاكهي (٢/ ١٢).

(١٣٠) النهاية، (٥/ ٤١)؛ لسان العرب، (٩/ ٣٢٦)؛ تاج العروس، (٢٤/ ٣٩٦).

(١٣١) تهذيب اللغة، للأزهري (١٤/ ٣٠٠). انظر: النهاية، (٢/ ١٦٩)؛ تاج العروس، (٣٢/ ٢٠٩).

(١٣٢) انظر: الروض الأنف، (١/ ٢٨٦)؛

(١٣٣) تهذيب اللغة، للأزهري (١٤/ ٢٩٩).

(١٣٤) رواه البخاري، (٣/ ١٢٢٨)، (ح٣١٨٤).

(١٣٥) رواه البخاري، (٣/ ١٢٣٠)، (ح٣١٨٥).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١٣٦) رواه البخاري، (٣/ ١٢٢٨)، (ح٣١٨٤).

(١٣٧) رواه الفاكهي في (أخبار مكة)، (٢/ ٦)، (ح١٠٥١).

(١٣٨) فتح الباري، (٦/ ٤٠٢).

(١٣٩) فضل ماء زمزم، (ص١٧٥) بتصرف يسير.

(١٤٠) تفسير السعدي، (١/ ٨١٣).

(١٤١) رواه البخاري، (٣/ ١١٧٣)، (ح٣٠٣٥). ومسلم، (١/ ١٥٠)، (ح١٤٩).

(١٤٢) رواه مسلم، (١/ ١٤٦)، (ح١٦٢).

(١٤٣) تفسير ابن كثير، (٤/ ٢٤٠).

(١٤٤) الكشاف، (٤/ ٤١١).

(١٤٥) تفسير السعدي، (١/ ٨١٣).

(١٤٦) فتح القدير، (٥/ ٩٤).

(١٤٧) أنشودة الأرواح حول الكعبة المشرفة، شعر: محمد المجذوب، مجلة الجامعة الإسلامية، (عدد: ٥٩)، (رجب ١٤٠٣هـ)، (ص٣٠٦ـ ٣٠٩).

(١٤٨) رواه ابن جرير في (تفسيره)، (٢٧/ ١٦)؛ وابن كثير في (تفسيره)، (٤/ ٢٤٠). وخالد بن عرعرة ذَكَرَه ابن أبي حاتم في(الجرح والتعديل)، (٣/ ٣٤٣)، ولم يذكر له جرحاً ولا تعديلاً. وقال الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)،(ضمن تعليقه على حديث رقم: ٤٧٧، الجزء (الأول)، (٢/ ٨٥٩): (رجاله ثقات؛ غير خالد بن عرعرة، وهو مستور).

(١٤٩) رواه ابن جرير في (تفسيره)، (٢٧/ ١٧)؛ وابن كثير في (تفسيره)، (٤/ ٢٤٠). وقال الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)،(ضمن تعليقه على حديث رقم: ٤٧٧، الجزء الأول)، (٢/ ٨٥٩ ٨٦٠): (وهذا إسناد مرسل صحيح،

شبكة الألوكة
www.alukah.net

رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير بشر وهو ابن هلال الصواف فمن رجال مسلم وحده. **وجملة القول**: إنَّ هذه الزيادة:(حيال الكعبة) ثابتة بمجموع طرقها، وأصل الحديث واضح).

(١٥٠) تفسير الطبري، (٢٧/ ١٦).

(١٥١) تفسير البغوي، (٤/ ٢٣٧).

(١٥٢) تفسير ابن كثير، (٤/ ٢٤٠).

(١٥٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٢/ ٣٢٢).

(١٥٤) معجم البلدان، (٤/ ٤٦٣).

(١٥٥) الجامع لأحكام القرآن، (٢/ ١٥٣).

(١٥٦) تفسير النسفي، (١/ ٣٣٤).

(١٥٧) البحر المحيط، (٤/ ١٨٣).

(١٥٨) مفتاح دار السعادة، (٢/ ٣١).

(١٥٩) زاد المعاد، (٣/ ٦٨).

(١٦٠) تاج العروس، (٢٧/ ٣٤٦).

(١٦١) المصدر نفسه، (٣١/ ٢٣٣).

(١٦٢) انظر: إثبات توسط مكة للبابسة، د. يحيى محمد وزيري (أستاذ العمارة، ومحاضر بكلية الآثار- جامعة القاهرة) بحث أُلقي في المؤتمر العلمي الأوَّل: «مكة المكرمة مركزاً للبابسة بين النظرية والتطبيق»، تحت رعاية شركة ساعة مكة العالمية، الدوحة قطر، إبريل (٢٠٠٨م).

(١٦٣) انظر: الكعبة المشرفة دراسة تحليلية للخصائص التصميمية، د. يحيى محمد وزيري، ضمن بحوث مؤتمر «إنتربيلد» الدولي الرابع عشر، (ص٥)، القاهرة، (٢٠٠٧م).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

(١٦٤) انظر: إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة دراسة باستخدام القياسات وصور الأقمار الصناعية، د. يحيى وزيري المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة بالتعاون مع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة القاهرة، (٢٠٠٩م).

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المحتويات

خصائص الكعبة

المبحث الأول: أول بيت وضع لعبادة الله تعالى ٢

ما جاء عن المفسرين في تأويل الآية: ٣

بناءُ الكعبةِ قبل بيت المقدس بتسعة قرون: ٧

يعقوب بن إسحاق هو مَنْ بنى بيت المقدس: ٨

الكعبة أوَّل هيكل أُقيم لتوحيد الله: ٩

الكعبة حوَّلت التَّوحيد المعنوي إلى ماديٍّ ملموس: ١١

المبحث الثاني: أَمَرَ اللهُ بتطهيره ١٣

المعنى العام: ١٣

أوجه تطهير البيت: ١٥

اكتمال التطهير بمنع المشركين: ١٧

تطهير نبيِّنا ﷺ للكعبة امتداد لتطهير إبراهيم عليه السلام: ١٧

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المبحث الثالث: شرف نسبته إلى الله تعالى ٢٠
فوائد الإضافة: ٢١
حِكْمة اختيار مكة مكاناً للكعبة: ٢٣
المبحث الرابع: فيه مقام إبراهيم ٢٦
مقام إبراهيم في القرآن: ٢٦
حِفْظُ مقام إبراهيم من الطقوس الشركية: ٢٨
بدعةٌ مُحدثة: ٣٠
المبحث الخامس: اشتياق الأفئدة إليه ٣٢
المثابة في اللغة: ٣٢
خلاصة تفسير الآية: ٣٤
المقصود برجوع الناس إليه: ٣٤
الحِكْمَة مِنْ جَعْلِ البيت مثابة: ٣٦
الكعبة والمنافع الدِّينية والدُّنيوية: ٣٦
جَذْبُ الكعبة للقلوب أعظم من جذْبِ المغناطيس للحديد: ٣٧

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المبحث السادس: تُشَدُّ الرِّحالُ إليه ٤٠

سبب شَدِّ الرِّحال إليها: ٤١

مسجد الكعبة أفضل الثلاثة في شد الرحال إليها: ٤٣

المسجد الحرام يقوم مقام المسجدين حال النذر: ٤٣

سبب أفضليته: ٤٤

المبحث السابع: الكعبة قبلة المسلمين ٤٧

المطلب الأول: قبلة المسلمين في صلاتهم ٤٧

الجمع بين الروايتين: ٤٩

المطلب الثاني: الحكمة من تحويل القِبلة ٥١

المطلب الثالث: تكرار الأمر باستقبال الكعبة ٥٧

آيات تحويل القبلة: ٥٧

آراء العلماء حول تَكرار الأمر باستقبال الكعبة: ٥٨

المطلب الرابع: أول صلاة بعد تحويل القبلة ٦٥

المبحث الثامن: مشروعية الطواف حوله ٦٨

تعريف الطواف: ٨٦

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اختصاص البيت العتيق بالطواف: ٦٨
الأمر بالاستمتاع بالطواف: ٧٠
أنواع الطواف: ٧٠
المبحث التاسع: عين زمزم تُجاورها ٧٣
المطلب الأول: زمزم ثمرة دعاءِ الخليل، وتوكُّلِ هاجر ٧٤
زمزم دليل ملموس لَمَنْ طلب القدوة في التَّوكل: ٧٥
المطلب الثاني: انبثاق عين زمزم بواسطة جبريل ٧٦
من أسماء زمزم: ٧٨
عين زمزم نبعت في أطهر بقعة: ٧٩
المطلب الثالث: زمزم أعظم النِّعم والمنافع ٨٠
فضائل زمزم لا تُحصى: ٨٢
عين زمزم من الآيات البيِّنات: ٨٣
المطلب الرابع: غُسِل بزمزم قلب أطهر الخَلْق ٨٣
حِكْمَة غَسْل قلبه ﷺ بماء زمزم: ٨٥
مُباركةُ النبي ﷺ عينَ زمزم بريقه الشَّريف: ٨٦
المطلب الخامس: عين زمزم لا تنضُبُ أبداً ٨٨
من أسماء زمزم: ٨٨

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شهادة التاريخ لماء زمزم: ٩١

المبحث العاشر: الكعبة مركز الأرض والكون ٩٣

المطلب الأول: اتجاه الكعبة نحو البيت المعمور ٩٤

البيت المعمور فوق الكعبة: ٩٧

ما جاء عن العلماء في ذلك: ٩٨

عبادةُ الله حَبْلُ موصول بين البَيتَين: ٩٩

المطلب الثاني: تَوَسُّط الكعبة لليابسة عند العلماء الأوائل ١٠٠

وسطية الكعبة لها بُعْدٌ رُوحيٌّ وماديّ: ١٠٤

المطلب الثالث: الكعبة مركز اليابسة للعالَمَين القديم والجديد ١٠٥

أولاً: توسط الكعبة ليابسة العالَم القديم: ١٠٦

ثانياً: توسط الكعبة ليابسة العالَم الجديد: ١٠٦

حِكَمٌ عظيمة في اختيار مَوضِع الكعبة: ١٠٧

خط طول مكة أَوَلى من خط طول جرينتش: ١١٠

المطلب الرابع: أركان الكعبة تُشير إلى جهات عالمية ١١١

المسميات العالمية لأركان الكعبة: ١١٣

الحواشي ١١٥